دَوْرُ الأُسْرَةِ
فِي
رِعَايَةِ الطِّفْلِ إِيمَانِيًّا
عَلَى هَدْيِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ

تأليف
الدكتور قاسم علي سعد

معرض الشارقة الدولي للكتاب
٦-١٦ ديسمبر ٢٠٠٥
6-16 December 2005
Dhs درهم
7
SHARJAH WORLD BOOK FAIR

دار البشائر الإسلامية

21
ى د

مركز المرأة للدراسات والاستشارات
ت : ٢٤٤٦٠٢٢
ت.ف : ٢٤٤٦٠٣٣
ترخيص رقم :(٧١)

دور الأسرة في رعاية الطفل إيمانيا

على هدي الكتاب والسنة

جَمِيعُ الحُقُوقِ مَحْفُوظَةٌ

الطَّبْعَةُ الأُولَى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

دار البشائر الإسلامية

للطباعة والنشر والتوزيع هاتف: ٧٠٢٨٥٧ - فاكس: ٠٠٩٦١١/٧٠٤٩٦٣

e-mail:

bashaer@cyberia.net.lb

بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥

٢١٠/٤
س ه د

دور الأسرة في رعاية الطفل إيمانياً

على هدي الكتاب والسنة

تأليف
الدكتور قاسم علي سعد

دار البشائر الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية

الحمد للّٰه، والصلاة والسَّلام على سيِّدنا محمد ابن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد: فإنَّ الأُسَر لا تألو حرصاً ولا تدَّخر وُسْعاً، في تربية أولادها ورعايتهم صحِّيًّا ونفسيًّا واجتماعيًّا وعقليًّا، وتبذل في هذا السبيل كل نفيس، وهو أمر معهود بالفطرة، ومطلوب بالشرع، حضَّ عليه ديننا الحنيف في أصوله وفروعه.

لكن الكثيرين غفلوا عن الركن الأهم في التربية، وهو التربية الإيمانية، فصانوا أولادهم عن مزلَّة الأقدام في الدنيا، ولم يتنبَّهوا إلى أنَّ صونهم عن مزلَّة الأقدام في الآخرة أولى وأجدر.

من هذا المنطلق تبرز أهمية الكتابة في هذا الجانب

العظيم (تربية الطفل إيمانيًّا)، وذلك من خلال الأُسرة التي هي المحضن الأول للطفل.

وقد أعددت هذا البحث المختصر للمشاركة في ندوة: (رعاية الطفولة في الإسلام والمؤسسات المتخصّصة) التي عقدتها كلية الشريعة والقانون بجامعة الشارقة بتاريخ ٢٧ ـ ٢٨ من شعبان سنة ١٤١٩هـ؛ فأُجيز، ثم عُرض، ثم نَشَرته الكلية ضمن أعمال الندوة.

واللَّهَ الكريمَ أسألُ أن يجعله خالصاً لوجهه، وأن يحقِّق به النفع، إنَّه سبحانه سميع مجيب.

وصلَّى اللَّه وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين.

قاله وكتبه

قاسم علي سَعْد

في المسجد النبوي الشريف

٥ من جمادى الآخرة سنة ١٤٢٢هـ

المقـــدّمَة

امتاز ديننا الحنيف بخصائص كبرى تدل على صفائه وخلوده، منها: خصيصة الشمول مع التوازن، فهو هداية للإنسان على اختلاف مراحل حياته: من طفولة وشباب وكُهولة وشيخوخة، بل تَقَدُّم وتأَخُّر ليراعي عالَم الأجنَّة وعالَم الأموات، وما وراءهما. كما وافقت هدايته بين مطالب الجسم والعقل والروح، وأقامت صرح الدنيا المفضية إلى الآخرة، ووثّقت صلة الإنسان بربّه مع توطيدها الصلة بين الإنسان وأخيه الإنسان.

وإلى بعض هذه المعاني يشير قول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(١).

---

(١) سورة غافر: الآية ٦٧.

كما يجليها قول النبـي ﷺ ـ فيما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ـ : «فإنَّ لجسدك عليك حقًّا، وإنَّ لعينك عليك حقًّا، وإنَّ لزوجك عليك حقًّا، وإنَّ لزورك ـ (وفي رواية: لولدك)[1] ـ عليك حقًّا»[2].

ويزيدها إيضاحاً قول سَلْمان الفارسي لأبـي الدرداء رضي الله عنهما: «إنَّ لربِّك عليك حقًّا، ولنفسك عليك حقًّا، ولأهلك عليك حقًّا، فأعط كلَّ ذي حقٍّ حقَّه»، فلمَّا أخبر النبـيّ ﷺ به قال: «صدق سَلْمان»[3].

---

(١) أخرجها مسلم في صحيحه متابعة: كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر ٢/ ٨١٤، حديث (١٨٣).

(٢) أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه: كتاب التهجُّد، باب ما يكره من ترك قيام الليل.. إلخ ١/ ٣٨٧، حديث (١١٠٢). وكتاب الصوم، باب حق الضيف في الصوم ٢/ ٦٩٦، حديث (١٨٧٣). وفيه أيضاً، باب حق الجسم في الصوم ٢/ ٦٩٧، حديث (١٨٧٤) ـ واللفظ له ـ. وكتاب النكاح، باب: لزوجك عليك حق ٥/ ١٩٩٥، حديث (٤٩٠٣). وكتاب الأدب، باب حق الضيف ٥/ ٢٢٧٢، حديث (٥٧٨٣). وأخرجه مسلم في صحيحه أيضاً: كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرَّر به.. إلخ ٢/ ٨١٣، حديث (١٨٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأدب، باب صنع الطعام والتكلف للضيف ٥/ ٢٢٧٣، حديث (٥٧٨٨).

من هذا المنطلق كان للطفولة في الإسلام مجال رَحْب لا يقلّ شأنه عن سائر المجالات، بل قد يتفوّق عليها؛ لأنَّ هذه المرحلة هي أساس المراحل التالية، وقاعدتها. ولأنَّ الإصلاح فيها أسهل وأنفع وأبقى.

وبما أنَّ الطفل لا يمكنه القيام برعاية نفسه وتأهيلها ـ لما اقتضته حكمة الله تعالى من إخراجه إلى الدنيا ضعيفاً خالياً من العلم كما أخبر الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾[1] ـ نِيطت مسؤولية رعايته بأُسرته حتى يَرشد ويستقلّ.

والمرادُ بالأُسرة في هذا المقام: الأبوان. وهي في اللغة: أقارب الرجل من قِبَل أبيه. وهي في الأصل: الدِّرع الحصينة، وسُمِّي بها أقرباء الرجل لأنه يتقوَّى بهم[2].

---

(١) سورة النحل: من الآية ٧٨.

(٢) تهذيب اللغة للأزهري: (كتاب السين، أبواب الثلاثي المعتل، باب السين والراء، أسر)، ١٣/ ٦٠. الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري: (باب الراء، فصل الهمزة)، ٢/ ٥٧٩. تاج العروس من جواهر القاموس للزَّبيدي: (باب الراء، فصل الهمزة)، ١٠/ ٥١.

وبناءً عليه يمكن تقسيم الأُسرة إلى قسمين: الأُسرة الصغيرة وهي الزوجية، ويندرج فيها ما يتفرَّع عنها وما يلحق بها، والأُسرة الكبيرة وهي عشيرة الرجل.

والمراد بالطفل: الصبي من حين ولادته إلى أن يبلغ. وجمعه أطفال، وقد يستوي فيه المذكر والمؤنث والجمع، ولا فعل له. والطفولة: المرحلة من الميلاد إلى البلوغ. وأصله من طَفُلَ بمعنى نَعُمَ ورَقَّ، والطِّفْل: النَّاعم من كل شيء، وهو أيضاً: الصغير من كل شيء(١).

وعلى ضوء تعريف الأُسرة والطفل نستشعر افتقار الآخِر إلى رعاية الأول وحفظه وحياطته وتعاهده وولايته.

وأمَّا الميدان الإيماني للرعاية الذي ينعقد هذا البحث عليه، فيُحَدَّد من خلال حديث جبريل عليه السلام لما سأل نبيّنا ﷺ عن الإيمان ــ أي عن قواعده

---

(١) تهذيب اللغة: (كتاب الطاء، أبواب الثلاثي الصحيح، باب الطاء واللام، طفل)، ١٣/ ٣٤٧ ــ ٣٤٩. لسان العرب لابن منظور (الطبعة المرتَّبة على طريقة المعاجم الحديثة)، ٤/ ٢٦٨١ ــ ٢٦٨٣. المعجم الوسيط للجنة من مجمع اللغة العربية بالقاهرة ٢/ ٥٦٠. وتنظر تعريفات أخرى للطفل في: تاج العروس: (باب اللام، فصل الطاء)، ٧/ ٤١٧، وكشف القناع المُرْنى عن مهمات الأسامي والكنى لبدر الدِّين العيني ٣٤٢.

وأركانه ــ فأجابه ﷺ بقوله ــ كما في رواية عبد الله بن عمر بن الخطَّاب عن أبيه رضي الله عنهما ــ : «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقَدَر خيره وشرّه»[١].

وقد سبق القرآن الكريم إلى ذكر هذه الأصول الستة في مواضع، منها: قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴾[٢]، وقوله ــ سبحانه ــ أيضاً: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ ﴾[٣].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان.. إلخ ١/ ٣٦ ــ ٣٨، الحديث الأول. وله شاهد من رواية أبي هريرة رضي الله عنه بمعناه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة ١/ ٢٧ ــ ٢٨، حديث (٥٠). وكتاب التفسير (سورة لقمان)، باب: إنَّ الله عنده علم الساعة ٤/ ١٧٩٣، حديث (٤٤٩٩). وأخرجه مسلم في صحيحه أيضاً: كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ١/ ٣٩، ٤٠، حديث (٥)، (٧).

(٢) سورة النساء: الآية ١٣٦.

(٣) سورة القمر: الآية ٤٩.

فهذه الأُسس هي المحور الرئيس لهذا البحث، مع إدراج أخصّ مظاهر الإيمان السلوكية وأعلاها، وهي أركان الإسلام التي ذكرها النبي ﷺ في حديث جبريل أيضاً بقوله: «الإسلام أن تشهد أن لا إلـه إلاَّ الله، وأنَّ محمَّداً رسول الله، وتقيمَ الصلاة، وتؤتيَ الزكاة، وتصومَ رمضان، وتحجَّ البيت إن استطعت إليه سبيلاً»(١).

ويمكن لمن أراد التوسُّع في هذا الميدان أن يُدخل فيه كل آثار الإيمان وثمراته، وعليه يدلّ قول النبي ﷺ ـ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه ـ : «الإيمان بِضْع وسبعون ـ أو بضع وستون ـ شعبة، فأفضلها قول لا إلـه إلاَّ الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»(٢).

❑ ❑ ❑

---

(١) تقدَّم تخريجه ص ١١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان ١/ ١٢، حديث (٩). ومسلم في صحيحه أيضاً: كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان.. إلخ ١/ ٦٣، حديث (٥٧)، (٥٨) ـ واللفظ للأخير ـ.

الدور التحضيري

تكوينُ الأُسرة المؤمنة
وإعدادُها لظهور الطفل المؤمن

تـوطئـة:

مَثَل الطفل السوي كمثل النبتة الطرية الصالحة، تظهر من خلال عوامل مترابطة ومتساوقة، فهي في الأصل بَذْرة صالحة وضعت في تربة طيِّبة، ضمن جوّ ملائم وفي وقت مناسب، وتعوهدت بالغذاء والرعاية، فنمت ثم بَزَغت. والطفل الصالح نِتاج بَذْرة سوية صالحة، عَلِقت ببويضة خصبة كريمة المحتد قويمة الطبع، ثم تدرَّجت في أطوار مقدَّرة حتى تشكّل الحمل ونُفخت فيه الرُّوح. وعن هذا الأصل الأول يتحدَّث القرآن المجيد فيقول: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا

﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[1].

وتربية الوليد على اختلاف مساراتها، وتعدُّد ميادينها، مبنيَّة على هذه المرحلة السابقة التي تُعَدُّ الأَساس الأَوَّل الذي له أثر كبير فيما يليه من مراحل؛ لذا أُقَدِّم عرضاً موجزاً لهذه المرحلة من الوجهة الإيمانية:

(أ) تكوين الأُسرة المؤمنة:

تحرص الأُسرة المؤمنة على تربية وليدها على الإيمان حتى يبلغ الحلم، ويستقلّ بنفسه، فيتطلَّع حينئذٍ إلى السَّكَن والزواج والأُبُوَّة بفطرته، كما يُشْعر قول الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

فتوجهه أُسرته إلى اختيار الفتاة المؤمنة المتكافئة امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ

---

(١) سورة المؤمنون: الآيات ١٢ ــ ١٤.

(٢) سورة الروم: الآية ٢١.

﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾[1]، وتحقيقاً لتوجيه النبي ﷺ ـ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه ـ : «تُنْكَحُ المرأة لأَربَعٍ: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»[2].

فإذا خَطَبها كان حريًّا بأوليائها أن يُزَوِّجوه إذا رضيته التزاماً بقول النبي ﷺ ـ فيما رواه أبو حاتم المزني رضي الله عنه ـ : «إذا جاءكم من ترضون دينه وخُلُقه فأنكحوه، إلاَّ تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض»[3].

---

(١) سورة البقرة: من الآيات ٢٢١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب النكاح، باب الأكْفاء في الدِّين ٥/١٩٥٨، حديث (٤٨٠٢). ومسلم في صحيحه أيضاً: كتاب الرضاع، باب استحباب نكاح ذات الدِّين ٢/١٠٨٦، حديث (٥٣) ـ واللفظ له ـ.

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه: كتاب النكاح، باب ما جاء: إذا جاءكم من ترضون دينه فزوِّجوه ٣/٣٩٥، حديث (١٠٨٥)، وقال عقبه: «هذا حديث حسن غريب». وله شاهد من حديث أبي هريرة بنحوه: أخرجه الترمذي في جامعه أيضاً: كتاب النكاح، باب ما جاء: إذا جاءكم من ترضون دينه فزوِّجوه ٣/٣٩٤ ـ ٣٩٥، حديث (١٠٨٤). وأخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب النكاح، باب الأكْفاء ١/٦٣٢ ـ ٦٣٣، حديث (١٩٦٧).

(ب) إعداد الأُسرة المؤمنة لظهور الطفل المؤمن:

إذا تمَّ عقد النكاح، وحصل اللقاء، فعلى الزوجين أن يتحصَّنا عند المعاشرة، ويُحصنا نسلهما بالدعاء المأثور عن النبي ﷺ بقوله ــ كما في رواية ابن عباس رضي الله عنهما ــ: «لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: بسم الله، اللَّـهُمَّ جَنِّبنا الشيطان وجَنِّب الشيطان ما رزقتنا، فإنَّه إن يُقَدَّر بينهما ولد في ذلك لم يَضُرَّه شيطانٌ أبداً»[1].

وعليهما أن يسألا الله تعالى الذرية المؤمنة الصالحة تطبيقاً لما في قوله سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى

---

(١) أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه: كتاب الوضوء، باب التسمية على كل حالٍ وعند الوقاع ١/ ٦٥ ــ ٦٦، حديث (١٤١). وكتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده ٣/ ١١٩٣، حديث (٣٠٩٨). وفيه أيضاً في الباب نفسه ٣/ ١١٩٦، حديث (٣١٠٩). وكتاب النكاح، باب ما يقول الرجل إذا أتى أهله ٥/ ١٩٨٢، حديث (٤٨٧٠). وكتاب الدعوات، باب ما يقول إذا أتى أهله ٥/ ٢٣٤٧، حديث (٦٠٢٥) ــ واللفظ له ــ. وكتاب التوحيد، باب السؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها ٦/ ٢٦٩٢، حديث (٦٩٦١). وأخرجه مسلم في صحيحه أيضاً: كتاب النكاح، باب ما يستحبّ أن يقوله عند الجماع ٢/ ١٠٥٨، حديث (١١٦).

خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[1]، وائتساءً بدعاء أبينا إبراهيم عليه السَّلام كما حكى القرآن الكريم: ﴿ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[2].

❑ ❑ ❑

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٨٩.

(٢) سورة الصافات: الآية ١٠٠.

الدور المباشر

ميدان الأُسرة في رعاية الطفل إيمانيًّا

تمهيد

(أ) مسؤولية الأُسرة:

عَهِد الله سبحانه وتعالى إلى الأُسرة عَهْداً عظيماً، وحَمَّلها مسؤولية تنشئة وليدها ــ حتى يشبّ ــ على الإيمان، ومعلوم أنَّ حفظ الدِّين رأسُ الضروريات الخمس، فهو مقدَّم على حفظ النفس والعقل والعرض والمال[1].

ومن إرشادات القرآن الكريم في ذلك: قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾[2]، ومن توجيهات النبي ﷺ فيه قوله ــ فيما رواه

(١) علم أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف ١٩٩، ٢٠٧.

(٢) سورة التحريم: من الآية ٦. قال أبو جعفر الطبري في تفسيره =

عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ــ : «ألا كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام الذي على النَّاس راعٍ وهو مسؤول عن رعيَّته، والرجل راعٍ على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيَّته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم، وعبد الرجل راعٍ على مال سيِّده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيَّته»(1).

= ٢٨/ ١٦٥ : «وقوله: ﴿وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ يقول: وعلِّموا أهليكم من العمل بطاعة الله ما يقون به أنفسهم من النَّار».

(١) أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه: كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن ١/ ٣٠٤، حديث (٨٥٣). وكتاب الاستقراض، باب العبد راع في مال سيِّده.. إلخ ٢/ ٨٤٨، حديث (٢٢٧٨). وكتاب العتق، باب كراهية التطاول على الرقيق.. إلخ ٢/ ٩٠١، حديث (٢٤١٦). وفيه أيضاً، باب العبد راع في مال سيِّده ٢/ ٩٠٢، حديث (٢٤١٩). وكتاب الوصايا، باب تأويل قول الله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ ٣/ ١٠١٠ ــ ١٠١١، حديث (٢٦٠٠). وكتاب النكاح، باب: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ ٥/ ١٩٨٨، حديث (٤٨٩٢). وفيه أيضاً، باب المرأة راعية في بيت زوجها ٥/ ١٩٩٦، حديث (٤٩٠٤). وكتاب الأحكام، باب قول الله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ ٦/ ٢٦١١، حديث (٦٧١٩) =

وقد ذكَّر الإمام أبو حامد الغزالي بهذه المسؤولية الخطيرة ــ لا سيَّما من الناحية الإيمانية ــ ، وما تَدره من عوائد شاملة طيِّبة إذا أُحسن القيام بها، وأمَّا إذا وقع التقصير والإهمال فإنَّ العواقب تكون وخيمة على الولد والأُسرة والمجتمع والأُمَّة، فقال: «اعلم أنَّ الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأُمور وأوكدها، والصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذَجة خالية عن كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش، ومائل إلى كل ما يمال به إليه، فإن عُوِّد الخير وعُلِّمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبوه وكل معلم له ومؤدب، وإن عُوِّد الشرّ وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك، وكان الوِزْر في رَقَبة القيم عليه والوالي له. . . ومهما كان الأب يصونه عن نار الدنيا فبأن يصونه عن نار الآخرة أولى، وصيانته بأن يؤدِّبه ويهذِّبه ويعلِّمه محاسن الأخلاق ويحفظه من القرناء السوء، ولا يعوده التنعُّم. . . بل ينبغي أن يراقبه من أول أمره. . . »[1].

= ــ واللفظ له ــ . وأخرجه مسلم في صحيحه أيضاً: كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل. . إلخ ٣/ ١٤٥٩، حديث (٢٠).

(١) إحياء علوم الدِّين ٣/ ٧٢.

وقال ابن الجَزَّار القيرواني الطبيب: «أُمِرنا نحن أن نـؤدِّب الصبيـان وهـم صغـار؛ لأنَّهـم ليـس لهـم عـزيمـة تصرفهم عمَّا يُؤمرون به من المذاهب الجميلة، فمن عَوَّد ابنـه الأدب والأفعـال الحميـدة والمـذاهـب الجميلـة فـي الصغـر حـاز بـذلـك الفضيلـة... ومـن تـرك فعـل ذلـك وتخلَّـى عـن العنـايـة بـه، أدَّاه ذلـك إلـى عظيـم النقـص والخساسة، ولعلَّه يَعرف فضيلة ذلك في وقت لا يمكنه تلافيه واستدراك ما فاته منه، فتحصل له الندامة التي هي ثمرة الخطأ»[1].

وقال ابن القَيِّم: «فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه، وتركه سُدى، فقد أساء إليه غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل ترك الآباء لهم وإهمالهم لهم، وتركه تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوها صغاراً، فلم ينتفعوا بأنفسهم، ولم ينفعوا آباءهم كباراً، كما عاتب بعضهم ولده على العقوق، فقال: يا أبت، إنك عققتنـي صغيـراً، فعققتـك كبيـراً، وأضعتنـي وليـداً، فأضعتك شيخاً»[2].

---

(١) سياسة الصبيان وتدبيرهم ١١٤.

(٢) تحفة المودود بأحكام المولود ١٨٥.

وإذا أحسن الأَبوان القيام بهذه المسؤولية الجليلة، كان الولد قُرَّة عين لهما في دنياهما وأُخراهما، وفي الكتاب المجيد والسُّنَّة المطهَّرة تنويه بهذه الثمرة الطيِّبة، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ﴾[1]، وقال رسول الله ﷺ ــ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه ــ: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلاَّ من ثلاثة: إلاَّ من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[2].

(ب) القلب مَغْرِس الإيمان:

قلب الإنسان هو حقيقة الإنسان، فبه يؤمن، وبه يتخلَّق، لذا كان له في الإسلام منزلة لا تُسامى، قال الله تعالى إخباراً عن دعاء إبراهيم عليه السَّلام: ﴿ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۝٨٧ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[3]. وقال رسول الله ﷺ ــ فيما رواه النعمان بن

---

(١) سورة الطور: من الآية ٢١.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ٣/ ١٢٥٥، حديث (١٤).

(٣) سورة الشعراء: الآيات ٨٧ ــ ٨٩.

بشير رضي الله عنهما ـ : «ألا وإنَّ في الجسد مضغة، إذا صَلَحت صَلَح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»[1].

وقد أوضح أبو حامد الغزالي عمل القلب وأثره وخطره فقال: «فالقلب هو العالم بالله، وهو المتقرّب إلى الله... وإنما الجوارح أتباع وخدم وآلات... فالقلب هو المقبول عند الله إذا سلم من غير الله، وهو المحجوب عن الله إذا صار مستغرقاً بغير الله، وهو المطالب وهو المخاطب وهو المعاتب... وإنما الذي ينتشر على الجوارح من العبادات أنواره... وإنما الساري إلى الأعضاء من الفواحش آثاره... هو لطيفة ربَّانية روحانية... وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان، وهو المدرك العالم العارف من الإنسان»[2].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه ١/ ٢٨ ـ ٢٩، حديث (٥٢). ومسلم في صحيحه أيضاً: كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات ٣/ ١٢١٩ ـ ١٢٢٠، حديث (١٠٧). وقد اقتصرت على قطعة منه.

(٢) إحياء علوم الدِّين ٣/ ٢، ٣.

وسخَّر الله سبحانه وتعالى سائر أعضاء الإنسان لتكون خدماً لهذا القلب، وجعل البدن مركبه، والدنيا منزله، والدار الآخرة مستقرّه. وهو محل العلم الذي هو زاده إلى الله تعالى[1].

لذا كان على المربِّي أن يوجِّه عظيم عنايته، وجليل رعايته، إلى هذا القلب الذي لم يُخلق البدن والأعضاء إلاَّ لأجله، ومصداق ذلك قول النبي ﷺ ـ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه ـ : «إنَّ الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»[2]. وإذا صلح القلب صلحت سائر الأعضاء، وصلحت الأعمال، وصلحت الدنيا والآخرة.

(جـ) الفطرة الإيمانية:

جبل الله سبحانه وتعالى النَّاس على هذه الفطرة الصافية، وطبعهم عليها، وحفظهم بها، قال تعالى:

---

(١) إحياء علوم الدِّين ٣/ ٥، ٩ ـ ١٠، ١٧.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب البرّ والصِّلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله ٤/ ١٩٨٦ ـ ١٩٨٧، حديث (٣٣)، (٣٤) ـ واللفظ للأخير ـ .

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(١).

فهي القاعدة العظمى التي يُشاد عليها صرح الكمال الإنساني، وما على الرَّبَّاني إلاَّ أن يبني على أساسها القويم، وأمَّا الشقي فإنَّه يحجب بشقاوته معالم هذه الفطرة، ويقيم بناءه على غير قرار، فتهوي به الريح في مكان سحيق، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾(٢).

فالطفل يخرج إلى الدنيا مهيَّأً للتلقِّي على أساس جِبلِّي متين، وفطرة صافية لم تُشْغَل بشيء من الموانع، لذا كان على المربِّي أن يغتنم الفرصة من بدايتها، وحينئذ تؤتي التربية أُكُلها كل حين بإذن ربها؛ لأنَّ «من أشرقت بدايته أشرقت نهايته»(٣).

وأمَّا إذ أهملت التربية فإنَّ النفس تتأثَّر بما يجري

---

(١) سورة الروم: الآية ٣٠.

(٢) سورة الشمس: الآيات ٧ ــ ١٠.

(٣) الحِكَم لابن عطاء الله السَّكَنْدَرِي ١٠٩.

في محيطها: إن خيراً فخير، وإن شرًّا فشرّ.. وأما إذا طمست آثار هذه الفطرة، وحجبت أنوارها بالزيغ والفساد فإنَّ فائدتها تختفي وتضيع، وفي هذا يقول النبي ﷺ ــ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه ــ: «ما من مولود إلاَّ يولد على الفطرة، فأبواه يُهَوِّدانه أو يُنَصِّرانه أو يُمَجِّسانه، كما تُنْتَجُ البهيمة بهيمةً جمعاء، هل تُحِسُّون فيها من جَدعاء؟»(١).

(د) مراحل الطفولة:

الطفولة هي المرحلة الأولى من مراحل عمر الإنسان، وهي تنقسم في ذاتها إلى أربع مراحل

---

(١) أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه: كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلَّى عليه؟.. إلخ ١/ ٤٥٦ ــ ٤٥٧، حديث (١٢٩٢)، (١٢٩٣) ــ واللفظ له ــ. وفيه أيضاً: باب ما قيل في أولاد المشركين ١/ ٤٦٥، حديث (١٣١٩). وكتاب التفسير (سورة الروم)، باب لا تبديل لخلق الله ٤/ ١٧٩٢، حديث (٤٤٩٧) ــ وهو باللفظ الأول أيضاً ــ. وكتاب القَدَر، باب: الله أعلم بما كانوا عاملين ٦/ ٢٤٣٤، حديث (٦٢٢٦). وأخرجه مسلم في صحيحه أيضاً: كتاب القَدَر، باب معنى: كل مولود يولد على الفطرة.. إلخ ٤/ ٢٠٤٧ ــ ٢٠٤٩، حديث (٢٢) ــ (٢٥).

ـ ويمكـن الـزيـادة فـي عـددهـا والنقصـان منـه حسـب الإجمال والتفصيل ـ ، أعرضها على الوجه التالي:

المرحلة الأُولى: تبدأ من الولادة إلى نهاية مدَّة الرضاع.

والمرحلة الثانية: من سن الثالثة إلى السابعة.

والمرحلة الثالثة: من السابعة إلى العاشرة.

والمرحلة الأخيرة: من العاشرة إلى البلوغ.

أُسس الرّعاية الأُسرية للطفل إيمانيًّا

لكل مرحلة من مراحل الطفولة المذكورة أساس جامع لرعاية الأُسرة الطفل إيمانيًّا عليه، أصوغه على هدي الفطرة الإيمانية التي صبغ الله النَّاس عليها ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾[1]، وأستنبطه من هدايات الذكر الحكيم، وتوجيهات النبي الكريم ﷺ، فأقول:

أساس المرحلة الأولى: إيقاظُ فطرة الوليد، وتحصينُها.

وأساس المرحلة الثانية: الربط المباشر للوليد

(١) سورة البقرة: من الآية ١٣٨.

بالفطرة، مع توسيع نطاقها، وتحريك الوليد بها.

وأساس المرحلة الثالثة: تدريب الطفل وترويضه على مقتضيات الفطرة الموسعة، وصَقْلُه بها.

وأساس المرحلة الأخيرة: تحقيق التزكية الإيمانية القائمة على الفطرة الموسعة ومقتضياتها.

فأوَّل هذه الأُسس نداء، والثاني تشويق، والثالث تسليك، والأخير تثبيت وتمكين.. وبتمامه يقوم البناء.

ويمكن تمثيل هذه الأسس الأربعة بعوامل حياة الأرض، المُتَضَمَّنة في قول الله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾[1]. فالعامل الأول هو إنزال الماء عليها، ويليه الاهتزاز، ثم الرُّبُوّ، ثم الإنبات. ويقابلها الأُسس على نسقها المتقدّم: إيقاظ، ثم ربط، ثم ترويض، ثمَّ تزكية. وبهذا يظهر التوافق.

ولتوضيح هذه الأُسس الأربعة أقول:

أولاً: إيقاظ فطرة الوليد الإيمانية وتحصينُها:

يولد الطفل على الفطرة الإيمانية القوية، لكنه

(١) سورة الحج: الآية ٥.

لا يدرك أنوارها؛ لخلوّه من العقل، وتجرُّده من العلم. ويحضره الشيطان منذ ولادته للإيذاء كما أخبر النبي ﷺ بقوله ــ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه ــ : «ما مِن مولود يُولد إلاَّ والشَّيطان يَمَسُّهُ حين يُولد، فَيَسْتَهِلُّ صارخاً مِن مسِّ الشَّيطان إيَّاه إلاَّ مريم وابنها. ثم يقول أبو هريرة: واقرءوا إن شئتم: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[1]»[2]. وذكر الله عاصم من

(١) سورة آل عمران: الآية ٣٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده ٣/١١٩٦، حديث (٣١١٢). وكتاب الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا﴾ ٣/ ١٢٦٥، حديث (٣٢٤٨). وكتاب التفسير (سورة آل عمران)، باب: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ ٤/ ١٦٥٥، حديث (٤٢٧٤) ــ واللفظ له ــ . وأخرجه مسلم في صحيحه أيضاً: كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام ٤/ ١٨٣٧، حديث (١٤٦)، (١٤٧).

واستشكل بعضهم معنى هذا الحديث، فدفع ذلك ابن حجر في فتح الباري ٨/ ٢١٢ بقوله: «والذي يقتضيه لفظ الحديث لا إشكال في معناه، ولا مخالفة لما ثبت من عصمة الأنبياء، بل ظاهر الخبر أنَّ إبليس ممكّن من مسّ كل مولود عند ولادته، لكن من كان من عباد الله المخلصين لم يضرّه ذلك المسّ أصلاً، =

الشيطان، والشيطان يخنس عند الذكر، فإذا غفل الإنسان عنه عاوده الشيطان، وإذا لازم الغفلة لازمه الشيطان، قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾[1].

فيحتاج الوليد إلى إيقاظ فطرته الإيمانية الكامنة، وإلى حفظها وتحصينها من عَبَث الشياطين وإضرارهم، ويتحقَّق ذلك باتِّباع التوجيهات النبوية الحكيمة في هذا الأمر، وأهمّها:

١ ـ التأذين في أُذن الوليد اليمنى والإقامة في اليسرى: سنَّ رسول الله ﷺ هذا الفعل عقب الولادة ليكون أول شَحْنة إيمانية تملأ أرجاء الوليد؛ فتوقظ فطرته، وتسري في طينته، موحية بأنه لم يخلق إلاَّ ليحقق معاني تلك الكلمات الخالدات. وليكون هذا الفعل أيضاً حِمية من الشيطان الغَوِيّ المتربّص، فعن أبي رافع القِبطي مولى رسول الله ﷺ أنّه قال: «رأيت رسول الله ﷺ

= واستثنى من المخلصين مريم وابنها، فإنَّه ذهب يمسّ على عادته فحيل بينه وبين ذلك، فهذا وجه الاختصاص، ولا يلزم منه تسلُّطه على غيرهما من المخلصين».

(١) سورة الزُّخْرف: الآية ٣٦.

أذَّنَ في أُذُن الحسن بن علي ــ حين ولدته فاطمة ــ بالصلاة»[1]، وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما: «أنَّ النبي ﷺ أذَّنَ في أُذُن الحسن بن عليّ يوم وُلِد، فأذَّن في أُذُنه اليمنى، وأقام في أذنه اليسرى»[2]، ورُوي عن النبي ﷺ ــ وهو من رواية الحسين بن علي رضي الله عنهما ــ أنَّه قال: «من وُلِد له مولود فأذَّنَ في أُذُنه اليمنى، وأقام في أُذُنه اليسرى لم تضرّه أمّ الصِّبيان[3]»[4].

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الأدب، باب الصبي يولد فيؤذَّن في أذنه ٥/ ٣٩٩، حديث (٥٠٦٤). والترمذي في جامعه: كتاب الأضاحي، باب الأذان في أُذُن المولود ٤/ ٩٧، حديث (١٥١٤)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان: الشعبة الستون (وهي باب في حقوق الأولاد والأهلين) ٦/ ٣٩٠، حديث (٨٦٢٠)، وحكم على إسناده وإسناد الحديث الذي بعده بقوله: «في هذين الإسنادين ضعف».

(٣) هي التابعة من الجن كما في سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلَّة الأحكام للصنعاني ٤/ ٢٠٥.

(٤) أخرجه ابن السنِّي في عمل اليوم والليلة: باب ما يعمل بالولد إذا ولد ٥٧٨، حديث (٦٢٣) ــ واللفظ له ــ. والبيهقي في شعب الإيمان: الشعبة الستون (وهي باب في حقوق الأولاد والأهلين) ٦/ ٣٩٠، حديث (٨٦١٩).

وأوضح العلاَّمة ابن قَيِّم الجوزية بعض الحكمة من هذا التأذين، فقال: «وسرّ التأذين ــ والله أعلم ــ: أن يكون أوَّل ما يقْرَعُ سَمْعَ الإنسان كلماتُه المتضمِّنة لكبرياء الرب وعظمته، والشهادة التي أوَّل ما يدخل بها في الإسلام، فكان ذلك كالتَّلقين له شِعار الإسلام عند دخوله إلى الدنيا كما يُلَقَّنُ كلمةَ التوحيد عند خروجه منها، وغير مستنكَر وصول أثر التأذين إلى قلبه وتأثيره به وإن لم يشعر. مع ما في ذلك من فائدة أخرى، وهي هروب الشيطان من كلمات الأذان، وهو كان يرصده حتى يولد، فيقارنه للمحنة التي قدَّرها الله وشاءها، فيُسمع شيطانه ما يُضعفه ويُغيظه أوَّل أوقات تعلُّقه به.

وفيه معنى آخر: وهو أن تكون دعوته إلى الله، وإلى دينه الإسلام، وإلى عبادته، سابقة على دعوة الشيطان، كما كانت فطرة الله التي فُطِر عليها سابقة على تغيير الشيطان لها ونقله عنها، ولغير ذلك من الحِكَم»[1].

٢ ــ الدُّعاء له بالخير والصَّلاح: ينبغي على

---

(١) تحفة المودود بأحكام المولود ٣٩ ــ ٤٠ (مع الاستعانة بطبعات أُخرى لهذا الكتاب في هذا الموضع).

الوالدين أن يحصِّنا وليدهما بالدعاء له بالتوفيق والإيمان، قال الله تعالى إخباراً عن دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾(١)، وقال ـ سبحانه ـ أيضاً إخباراً عن دعاء إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾(٢)، وقال ـ سبحانه ـ أيضاً في وصف عباد الرحمن: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾(٣).

وقد حثَّ المولى سبحانه وتعالى المؤمنين على ذاك الدعاء الجامع العظيم الذي تضمَّنه قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ

---

(١) سورة البقرة: من الآية ١٢٨.

(٢) سورة إبراهيم: من الآية ٤٠.

(٣) سورة الفرقان: الآية ٧٤. وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما في تفسيرها ـ كما أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العيال، باب صلاح الولد ٢/ ٦٠٩ ـ : «أما إنه لم يكن قرَّةُ أعين أن يرونه صحيحاً جميلاً، ولكن أن يرونه مطيعاً لله عزَّ وجلّ».

﴿وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾(١).

ومن هدي النبي ﷺ في هذا الشأن ما ذكره البراء بن عازب الأنصاري رضي الله عنه بقوله: «رأيت النبي ﷺ والحسن بن عليّ على عاتقه يقول: اللَّـٰهُمَّ إنِّي أُحِبُّه فأحبَّه»(٢).

ويستعين الوالدان على تحقيق ذلك بأهل الصَّلاح والفضل، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنَّه قال: «وُلِد لي غلام فأتيتُ به النبي ﷺ فسمَّاه إبراهيم، فحنكه بتمرة، ودعا له بالبركة، ودَفَعه إليّ»(٣).

---

(١) سورة الأحقاف: الآية ١٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما ٣/ ١٣٧٠، حديث (٣٥٣٩) ـ واللفظ له ـ. ومسلم في صحيحه أيضاً: كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل الحسن والحسين رضي الله عنهما ٤/ ١٨٨٣، حديث (٥٨)، (٥٩). وللحديث شواهد في الصحيحين وغيرهما.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب العقيقة، باب تسمية المولود غداة يولد.. إلخ ٥/ ٢٠٨١، حديث (٥١٥٠) ـ واللفظ له ـ. وكتاب الأدب، باب من سمَّى بأسماء الأنبياء ٥/ ٢٢٩٠، حديث (٥٨٤٥). وأخرجه مسلم في صحيحه أيضاً: كتاب الأدب، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته وحمله إلى صالح =

ولا حرج إن شاء الله تعالى من كتابة بعض الأدعية المشروعة وتعليقها في عنق من لم يعقل من الصبيان، لحديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه رضي الله عنه: «أنَّ رسول الله ﷺ كان يُعَلِّمهم من الفزع كلمات: أعوذ بكلمات الله التامَّة، من غضبه وشرّ عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون. وكان عبد الله بن عمرو يُعَلِّمهن من

= يحنكه.. إلخ ٣/ ١٦٩٠، حديث (٢٤).

وقد كانوا لا يقتصرون من بركات رسول الله ﷺ في أطفالهم على دعائه لهم وتحنيكه، وإنَّما استنفدوا كل السبل الممكنة في ذلك، ومنها ما فعلته أم سُليم بنت مِلْحان الأنصارية لما قال النبي ﷺ ذات يوم في بيتها، قال ابنها أنس بن مالك رضي الله عنه ـ كما في صحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب طيب عَرَق النبي ﷺ والتبرُّك به ٤/ ١٨١٥ ـ ١٨١٦، حديث (٨٤) ـ: «كان النبي ﷺ يدخل بيت أم سُليم فينام على فراشها، وليست فيه. قال: فجاء ذات يوم فنام على فراشها، فأُتيتْ، فقيل لها: هذا النبي ﷺ نام في بيتك على فراشك. قال: فجاءت وقد عَرِق واستنقع عَرَقه على قطعة أديم على الفراش، ففتحت عَتِيدتها فجعلت تُنَشِّف من ذلك العرق فتعصِرُهُ في قواريرها، ففزِع النبي ﷺ، فقال: ما تصنعين يا أم سُليم؟ فقالت: يا رسول الله، نرجو بركته لصبياننا. قال: أصبت».

عَقَل من بنيه، ومن لم يعقل كتبه فعلَّقه عليه»[1].

٣ ـ **النَّسْك عنه**: سنَّ رسول الله ﷺ هذه النَّسيكة (العقيقة) في اليوم السابع، قال عليه الصلاة والسلام ـ فيما رواه سلمان بن عامر الضَّبِّي ـ: «مع الغلام عَقِيقة، فأَهْرِيقوا عنه دماً، وأَمِيطوا عنه الأذى»[2].

وأوضح ابن القَيِّم سرّ العقيقة الإيماني، وممَّا قاله فيه: «وفيها سر بديع، موروث عن فداء إسماعيل بالكبش الذي ذُبح عنه، وفداه الله به، صار سنَّة في أولاده بعده أن يُفدى أحدهم عند ولادته بذِبْح، ولا

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الطب، باب كيف الرُّقى؟ ٤/ ٣٣٣، حديث (٣٨٨٩) ـ واللفظ له ـ . والترمذي في جامعه: كتاب الدعوات، باب (٩٣)، ٥/ ٥٤١ ـ ٥٤٢، حديث (٣٥٢٨)، وقال عقبه: «هذا حديث حسن غريب».
وقال ابن حجر في فتح الباري ٦/ ١٤٢ في أواخر شرحه لحديث البخاري: (لا تَبْقَيَنَّ في رقبة بعير قِلادة من وَتَر أو قِلادة إلاَّ قُطِعت): «هذا كله في تعليق التمائم وغيرها ممَّا ليس فيه قرآن ونحوه، فأمَّا ما فيه ذكر الله فلا نهي فيه فإنه إنَّما يجعل للتبرُّك به والتعوُّذ بأسمائه وذكره».

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب العقيقة، باب إماطة الأذى عن الصبي في العقيقة ٥/ ٢٠٨٢ ـ ٢٠٨٣، حديث (٥١٥٤). وفي الباب عدَّة أحاديث أُخَر.

يُستنكر أن يكون هذا حِرزاً له من ضرر الشيطان، ولهذا قلَّ من يترك أبواه العقيقة عنه إلاَّ وهو في تخبيط من الشيطان، وأسرار الشرع أعظم من هذا!»[١].

٤ ـ **التصدُّق بزنة شعره فضة أو ذهباً**: يُستحبّ حَلْق رأس الصبي في اليوم السابع، ويُتَصدَّق بوزن شَعْره، فعن جعفر بن محمد عن أبيه رضي الله عنهما أنَّه قال: «وَزَنَتْ فاطمة بنت رسول الله ﷺ شعر حسن وحسين وزينب وأم كُلثوم، فتصدَّقت بزِنة ذلك فِضَّة»[٢]، فهذا لون من ألوان تحصين فطرة الوليد الإيمانية[٣].

٥ ـ **الفَتْح عليه بكلمة التوحيد**: عندما يتأهَّل الطِّفل للنطق، يُلقَّن كلمة التوحيد التي هي مفتاح النجاة، حتى تكون أوّل كلمة يتحرَّك بها لسانه، وقد كانت أوَّل كلمة دَوَّت في سمعه بعد ولادته حتى نقشت في قلبه،

---

(١) تحفة المودود بأحكام المولود ٦٥. وينظر كتاب: حجَّة الله البالغة لوليّ الله الدهلوي ٢/ ١٤٤.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ: كتاب العقيقة، باب ما جاء في العقيقة ٢/ ٥٠١، حديث (٢). وفي الباب عدَّة أحاديث أُخَر.

(٣) وينظر كتاب: حجَّة الله البالغة ٢/ ١٤٥.

وهي محور الفطرة التي جبله الله عليها، بل إنَّها العهد الذي أبرمه الإنسان في عالم الذَّرِّ.. سموّ متتابع، ورقيّ متواصل، يرجى لصاحبه حسن الختام، فقد رُوِي عن النبي ﷺ ــ من حديث ابن عبَّاس رضي الله عنهما ــ قوله: «افتحوا على صبيانكم أوَّل كلمة بلا إلـه إلاَّ الله، ولَقِّنوهم عند الموت لا إلـه إلا الله»[1]. وعن إبراهيم النَّخَعي أنَّه قال: «كانوا يستحبُّون أوَّل ما يفصح أن يُعَلِّموه: لا إلـه إلاَّ الله (سبع مرَّات)، فيكون ذلك أوَّل ما يتكلَّم به»[2]. قال ابن القَيِّم: «فإذا كان وقت نُطقهم

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان: الشعبة الستون (وهي باب في حقوق الأولاد والأهلين) ٦/ ٣٩٧ ــ ٣٩٨، حديث (٨٦٤٩)، وبقيته عنده: «فإنه من كان أول كلامه لا إلـه إلاَّ الله وآخر كلامه لا إلـه إلاَّ الله ثم عاش ألف سنة ما سُئِل عن ذنب واحد»، وقد قال عقبه: «متن غريب لم نكتبه إلاَّ بهذا الإسناد». وقال السيوطي في اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ٢/ ٤١٦ متعقباً ابن الجوزي في إيراده له في الموضوعات: «الحديث في المستدرك، وأخرجه البيهقي في الشعب... وأورده الحافظ ابن حجر في أماليه ولم يقدح في سنده بشيء إلاَّ أنَّه قال: إبراهيم فيه لين، وقد أخرج له مسلم في المتابعات. والله أعلم».

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه: كتاب العقيقة، باب ما يستحبّ للصبي أن يُعَلَّم إذا تكلَّم ٤/ ٣٣٤، رقم (٧٩٧٧).

فليُلَقِّنوا: (لا إلـه إلاَّ الله، محمَّـد رسـول الله)، وليكـن أول ما يقرع مسامعهم معرفةُ الله سبحانه وتوحيدُه»[1].

٦ ــ تغذيته بالحلال وإبعاده عن المحرمات كلها: يلزم الأُسرة أن تُؤَمِّن لوليدها الغذاء الحلال في كل مراحله، وتبعده عن المحرَّمات في مأكله ومشربه وملبسه وزينته ولُعبه.. إلخ، حتى تحفظ صفاء فطرته، ونقـاء بِنيتـه، وتحفـظ أيضـاً دينهـا وصـلاحهـا، قـال النبـي ﷺ ــ فيمـا رواه أبـو هـريـرة رضـي الله عنـه ــ: «إنَّ الله طيِّب لا يقبل إلاَّ طيِّباً... ثم ذكر الرجل يُطيل السفر أشعث أغبر، يَمُدّ يديه إلى السماء: يا رب.. يا رب.. ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذِي بالحرام، فأنَّى يُستجاب لذلك؟!»[2].

ومن الأفعال النبويَّة الشريفة في هذا المجال ما حكاه أبو هريرة رضي الله عنه بقوله: «أخذ الحسن بن عليّ رضي الله عنهما تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه، فقال النبي ﷺ: كِـخ كِـخ ــ ليطرحها ــ ثمَّ قال:

---

(١) تحفة المودود بأحكام المولود ١٨٧.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الزكاة، باب قَبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها ٢/ ٧٠٣، حديث (٦٥).

أما شعرتَ أنَّا لا نأكلُ الصدقة»[1].

وللتغذية بالحرام أثر في انحراف الطفل وإن لم تكن مباشرة، قال أبو حامد الغزالي: «بل ينبغي ـ (يعني على الأب) ـ أن يراقبه من أوَّل أمره، فلا يستعمل في حضانته وإرضاعه إلاَّ امرأة متديِّنة تأكل الحلال، فإنَّ اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه، فإذا وقع عليه نشوء الصبي انعجنت طينته من الخبيث فيميل طبعه إلى ما يناسب الخبائث»[2].

كما أنَّ انتقاء المَنْجَع يُهَذِّب الطبع ويُنِير البَصيرة، فعن عوف بن أبي جميلة الأعرابي أنَّه قال: «كان الحسن ـ (يعني البصري) ـ ابناً لجارية أم سلمة زوج النبي ﷺ، فبعثت أم سلمة جاريتها في حاجتها فبكى الحسن بكاءً شديداً، فرقَّت عليه أم سلمة رضي الله تعالى

(١) أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه: كتاب الزكاة، باب أخذ صدقة التمر عند صِرام النخل وهل يُترك الصبي فيمسّ تمر الصدقة؟ ٢/ ٥٤١، حديث (١٤١٤). وفيه أيضاً، باب ما يذكر في الصدقة للنبي ﷺ ٢/ ٥٤٢، حديث (١٤٢٠) ـ واللفظ له ـ . وكتاب الجهاد، باب من تكلَّم بالفارسية والرَّطَانة ٣/ ١١١٨، حديث (٢٩٠٧).

(٢) إحياء علوم الدِّين ٣/ ٧٢.

عنها، فأخذته فوضعته في حجرها فألقمته ثديها فدرَّ عليه فشرب منه، فكان يقال: إنَّ المبلغ الذي بلغه الحسن من الحكمة من ذلك اللبن الذي شربه من أم سلمة زوج النبي ﷺ»[1]، وقد وُصِف كلام الحسن بأنَّه يشبه كلام الأنبياء.

بل قد سما الإسلام بالأطفال الرُّضَّع سموًّا بديعاً عندما أمر النبي ﷺ بعض المرضعات يوم عاشوراء بأن لا يرضعن أولادهن إلى الليل كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

ثانياً: الربط المباشر للوليد بالفطرة الإيمانية مع توسيع نطاقها وتحريك الوليد بها:

يغلب على المرحلة السابقة عدم ظهور تفاعل من قبل الوليد مع الرعاية الإيمانية المقدّمة له من قِبَل أُسرته؛ لأنَّه لم يكن له عقل يربط بينه وبين فطرته، لكنه في هذه المرحلة يتدرَّج في تفاعله بحسب نموّ عقله، وكلَّما ازداد عقله السويّ ازداد أنساً بفطرته، وتأثُّراً بأنوارها، ويظهر

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني ١٤٧/٢.

ذلك بعد إتمامه خمس سنين من عمره، قال ابن الجوزي: «فإذا عبر الصبي خمس سنين بان فهمه ونشاطه في الخير، وحسن اختياره»[1]. وهذا النشاط يتطلَّب اهتماماً من قبل الأُسرة، وإليه نبَّه أبو حامد الغزالي بقوله: «ومهما رأى ـ (يعني الأب) ـ فيه من مخايل التمييز فينبغي أن يحسن مراقبته»[2].

ويُتعاهَد الطفل في هذه المرحلة باللطف واللين والترغيب والتشويق، مع الثناء والمكافأة إن أحسن، وإلاَّ استعمل معه العتاب الجميل في بعض الأحايين.

وأُقَسِّم أهمّ عناصر هذا الأساس على النحو التالي:

١ ـ تصوير آثار الفطرة الإيمانية في سلوك الأُسرة: تُرَبِّي الأُسرة المؤمنة وليدها في جوٍّ مُفْعَم

---

(١) تنبيه النائم الغَمْر على مواسم العُمْر ٦٤. ولأجل هذا استقرَّ عمل أهل الحديث المتأخِّرين على تصحيح سماع الصغير في هذه السن، قال أبو عمرو بن الصلاح في علوم الحديث ١٣٠: «فيكتبون لابن خمس فصاعداً: (سمع)، ولمن لم يبلغ خمساً: (حَضَر)، أو: (أُحْضر)، والذي ينبغي في ذلك أن تعتبر في كل صغير حاله على الخصوص».

(٢) إحياء علوم الدِّين ٣/ ٧٢.

بالإيمان، يشرق فيه القلب على الجوارح: فتنطق بتوحيد الله، وتعمل بأوامر الله، وتؤدِّي فرائض الله، وتتلو كتاب الله؛ فتلتقط مُخَيِّلة الطفل هذه الصورة الإيمانية السلوكية وتعرضها على الفطرة، فتزداد الفطرة بذلك نَفْحاً وإشراقاً.

٢ ـ تقديم الفطرة الإيمانية في قالب ذهني مناسب بواسطة الحسّ: أسبغ الله سبحانه وتعالى نعمه على خلقه ظاهرة وباطنة، فهي ماثلة في كُلِّ ذَرَّة من ذرَّات هذا الكون العظيم، قال الله تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾[1]. وجَبَل الله سبحانه وتعالى قلوب خلقه على حب من أحسن إليهم، وأنعم عليهم.

وهذا منطلق عظيم لتقوية فطرة الصبي الإيمانية، فيُنبّه على أنَّ طعامه الذي يأكله، وشرابه الذي يشربه، ولباسه الذي يلبسه، والبيت الذي يسكنه، وأمّه التي تحضنه، وفمه الذي يأكل به، وعينه التي يرى بها، ويده التي يستعملها، ورجله التي يمشي بها، بل جسمه كله من نعم الله سبحانه وتعالى؛ وذلك تحقيقاً لقوله جلَّ

(١) سورة النحل: من الآية ١٨.

شأنه: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾[1]. ويُنَبّه أيضاً على أنَّ الله خلقه، وخلق أباه وأمّه، وخلق النَّاس جميعاً، وخلق كل شيء. وينبّه أيضاً على أنَّ الله صوَّره على هذه الصورة البديعة، وجمَّل له هذا الكون البديع.

ثُمَّ يوجّه إلى أنَّ هذا المنعم المتفضّل، والخالق العظيم، يتحتَّم علينا أن نحبّه ونشكره ونوحِّده ونعبده، فإذا فعلنا ذلك عظم حبّه لنا، ورحمته بنا.

٣ ـ تحريك الطفل للقيام بما يستطيعه ويرغب به من موجبات الفطرة الإيمانية: يندفع الطفل إلى ذلك بالقدوة الحسنة من أسرته، فهو في هذه المرحلة يحبّ التقليد والاتِّباع، لا سيَّما تقليد والديه اللذين يقومان على رعايته. فهما مَثَلُه الأَعلى، فهو يقلِّدهما إذا صلَّيا، ويرفع يديه للدعاء إذا دَعَوا، وينصت لتلاوتهما القرآن إذا تَلَوَا، ويسمِّي الله تعالى قبل الطعام إذا سمَّيا، ويحمد الله بعده إذا حمدا، ويتابعهما في التشهُّد والصلاة على النبي ﷺ والأذكار وسائر صنوف الخير. وعلى الأُسرة أن تقرن القدوة بما يناسب الطفل من

(١) سورة النحل: من الآية ٥٣.

التعليم الميسّر لبعض أحكام الطهارة والصلاة وغيرهما.

ومن توجيهات النبي ﷺ في هذا المجال: ما أدَّب به رَبيبَه قولاً وعملاً، قال عمر بن أبي سَلَمة رضي الله عنهما: «كنت غلاماً في حَجْر رسول الله ﷺ، وكانت يدي تطيش في الصَّحفة، فقال لي رسول الله ﷺ: يا غلام!، سَمِّ الله، وكل بيمينك، وكل ممَّا يليك»(١)، وكذلك ما جاء عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما في قوله: «كان النبي ﷺ يُعَوِّذُ الحسن والحسين، ويقول: إنَّ أباكما كان يُعَوِّذُ بها إسماعيل وإسحاق: أعوذُ بكلمات الله التامَّة، من كل شيطان(٢) وهامَّة، ومن كل

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين ٥/ ٢٠٥٦، حديث (٥٠٦١) ــ واللفظ له ــ. وفيه أيضاً، باب الأكل مما يليه ٥/ ٢٠٥٦، حديث (٥٠٦٢)، (٥٠٦٣). وأخرجه مسلم في صحيحه أيضاً: كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما ٣/ ١٥٩٩ ــ ١٦٠٠، حديث (١٠٨)، (١٠٩).

(٢) وثَمَّة توجيه آخر مساعد يعصم الصبيان من شرّ الشيطان، وهو منعهم من الحركة وقت انتشار الشياطين وانبعاثها، وذلك في أول الليل بعد غروب الشمس ــ والشيطان سريع التعلُّق بمن يغفل عن ذكر الله ولا يتنزَّه عن النجاسة، وغالب الصبيان كذلك ــ ، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنَّه قال: «إذا =

عينٍ لامَّة»[1].

وقد تابع الصحابة رضوان الله عليهم هذا الهدي النبوي الكريم، فكانوا خير قدوة بعد النبي ﷺ: فعن عمرو بن ميمون الأَوْدي أنه قال: «كان سعد ـ (يعني ابن أبي وقَّاص رضي الله عنه) ـ يُعَلِّم بنيه هؤلاء الكلمات كما يُعَلِّمُ المُعَلِّمُ الغِلْمان الكتابة، ويقول: إنَّ

= اسْتَجْنَحَ اللَّيلُ ـ أو كان جُنْحُ الليل ـ فكُفُّوا صبيانكم، فإن الشياطين تنتشر حينئذ. فإذا ذهب ساعةٌ من العشاء فَخَلُّوهم...». أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه: كتاب بَدْء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده ٣/ ١١٩٥، حديث (٣١٠٦) ـ واللفظ له ـ . وفيه أيضاً، باب خير مال المسلم غنم يَتْبع بها شَعَف الجبال ٣/ ١٢٠٣، حديث (٣١٢٨). وفيه أيضاً، باب خمس من الدوابّ فواسق يقتلن في الحرم ٣/ ١٢٠٥، حديث (٣١٣٨). وكتاب الأشربة، باب تغطية الإناء ٥/ ٢١٣١، حديث (٥٣٠٠). وأخرجه مسلم في صحيحه أيضاً: كتاب الأشربة، باب الأمر بتغطية الإناء... وكفّ الصبيان والمواشي بعد المغرب ٣/ ١٥٩٥، حديث (٩٧). وينظر حديث (٩٨).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأنبياء، باب (يَزِفُّون): النَّسَلان في المشي ٣/ ١٢٣٣، حديث (٣١٩١). والهامَّة هنا: كل ذات سم يقتل. وأما العين اللاَّمَّة فهي التي تصيب ما نظرت إليه بسوء. الأذكار للنووي ١١١.

رسول الله ﷺ كان يتعوَّذ منهن دبر الصلاة: «اللَّـهُمَّ إنِّي أعوذُ بكَ مِنَ الجُبْن، وأعوذُ بك أن أُرَدّ إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا، وأعوذ بك من عذاب القبر». فحدَّثت به مصعباً ـ (يعني مصعب بن سعد بن أبي وقَّاص) ـ فصدَّقه»(١).

وعند عبد الرحمن بن غَنْم: «أنَّ أبا مالك الأشعري جمع قومه فقال: يا معشر الأشعريين اجتمعوا واجمعوا نساءكم وأبناءكم، أُعَلِّمكم صلاة النبي ﷺ، صلَّى لنا بالمدينة، فاجتمعوا وجمعوا نساءهم وأبناءهم، فتوضأ... قام فأذَّن فصفَّ الرجال في أدنى الصف، وصف الولدان خلفهم، وصف النساء خلف الولدان، ثم

---

(١) أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه: كتاب الجهاد، باب ما يُتَعَوَّذُ به من الجُبْن ٣/ ١٠٣٨ ـ ١٠٣٩، حديث (٢٦٦٧) ـ واللفظ له ـ. وكتاب الدعوات، باب التعوُّذ من عذاب القبر ٥/ ٢٣٤١، حديث (٦٠٠٤)، من حديث مصعب بن سعد عن أبيه رضي الله عنه، وكذلك الروايات التالية. وفيه أيضاً، باب التعوُّذ من البخل ٥/ ٢٣٤٢، حديث (٦٠٠٩). وفيه أيضاً، باب الاستعاذة من أرذل العمر ومن فتنة الدنيا وفتنة النار ٥/ ٢٣٤٣ ـ ٢٣٤٤، حديث (٦٠١٣). وفيه أيضاً، باب التعوُّذ من فتنة الدنيا ٥/ ٢٣٤٧، حديث (٦٠٢٧).

أقام الصلاة فتقدَّم فرفع يديه فكبَّر. . . »[1].

وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه رضي الله عنه أنَّه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «للصَّائم عند إفطاره دعوة مستجابة». فكان عبد الله بن عمرو إذا أفطر دعا أهله وولده ودعا»[2].

ومن هذا الباب أيضاً قول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «كان يُعَلِّم الصبي الصلاة إذا عرف يمينه من شماله»[3]، وقول جندب بن أبي ثابت: «كانوا يعلِّمون الصبي الصلاة إذا عدَّ عشرين»[4].

وأهمّ ما يُحَرَّك الطفل للقيام به في هذه المدَّة:

(أ) اللَّهَجُ بالشَّهادَتَينِ مع تصوُّرهما في ذهنه وقلبه: الشهادتان مفتاح الإسلام، وشعاره، وقاعدته،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: مسند أبي مالك الأشعري ٥/ ٣٤٣.

(٢) رواه أبو داود الطيالسي كما في مسنده: مسند عبد الله بن عمرو بن العاص ٢٩٩، حديث (٢٢٦٢).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العيال: باب تعليم الصبيان الصلاة ١/ ٤٧٢.

(٤) المصدر السابق ١/ ٤٧٣.

من قالهما مصدِّقاً بهما، وعمل بمقتضاهما حَرَّمه الله على النار، وأدخله الجنة، فعن قتادة رحمه الله أنَّه قال: «حدثنا أنس بن مالك: أنَّ النبـي ﷺ ــ ومعاذ رديفُه على الرَّحْل ــ قال: يا معاذ بن جبل. قال: لَبَّيك يا رسول الله وسَعْدَيْك. . . قال: ما من أحد يَشْهَدُ أن لا إله إلاَّ الله وأنَّ محمَّداً رسول الله صِدْقاً مِن قلبه إلاَّ حَرَّمَه الله على النار»(١).

وإنَّ ترديد الطفل للشَّهادتين يقوِّي اعتقاده، ويثبِّت فؤاده، فيزداد قربه من الله، وحبّه لله تعالى ولرسوله ﷺ الذي قرن الله اسمه باسمه، وجعله قدوة للمهتدين. وقد رُوِي عن النبـي ﷺ دعوته الآباء لتنشئة أولادهم على حبّه ﷺ بقوله: «أَدِّبُوا أولادكم على ثلاث خصال: حُبّ نبيّكم، وحُبّ آل بيته، وقراءة القرآن»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب العلم، باب من خَصَّ بالعلم قوماً دون قوم. . إلخ ١/ ٥٩ ــ ٦٠، حديث (١٢٨).

(٢) ذكره السيوطي في الجامع الكبير ١/ ٢٩، وقال: «أبو نصر عبد الكريم بن محمد الشيرازي في فوائده، والديلمي، وابن النجَّار في تاريخه عن علي»، يعني أنَّهم رَوَوْه. وكذلك فعل في الجامع الصغير ١/ ٢٥. وقال العلاَّمة المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير ١/ ٢٢٦: «وهو ضعيف».

كما نوَّه عليه الصلاة والسلام بمن أدرك رتبة المحبة المنبثقة من الشهادة ولو بدر منه بعض التقصير، فعن ثابت رحمه الله تعالى: «عن أنس رضي الله عنه أنَّ رجلاً سأل النبي ﷺ عن الساعة؟ قال: وماذا أعددت لها؟! قال: لا شيء، إلاَّ أنِّي أحبّ الله ورسوله ﷺ. فقال: أنت مع من أحببت. قال أنس: فما فرِحْنا بشيء فَرَحَنا بقول النبي ﷺ: أنت مع من أحببت. قال أنس: فأنا أحبّ النبي ﷺ وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبِّي إيَّاهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم»[1].

(ب) حفظ ما تيسَّر من القرآن الكريم: القرآن كتاب الله تعالى وكلامه، ونوره وبرهانه. ويُبدأ الطفل

---

(١) أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه: كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه ٣/ ١٣٤٩، حديث (٣٤٨٥) ـ واللفظ له ـ. وكتاب الأدب، باب ما جاء في قول الرجل: (ويلك) ٥/ ٢٢٨٢، حديث (٥٨١٥). وفيه أيضاً: باب علامة الحب في الله عزَّ وجلّ ٥/ ٢٢٨٣، حديث (٥٨١٩). وكتاب الأحكام، باب القضاء والفُتيا في الطريق ٦/ ٢٦١٥، حديث (٦٧٣٤). وأخرجه مسلم في صحيحه أيضاً: كتاب البرّ والصِّلة والآداب، باب المرء مع من أحب ٤/ ٢٠٣٢ ـ ٢٠٣٣، حديث (١٦١) ـ (١٦٤).

بحفظ ما يناسبه من قصار سوره: كسورة الإخلاص والمعوِّذتين، وكذلك الفاتحة، وآية الكرسي؛ ليجعلها كلها وِرداً دائماً، وعَوذاً آمناً. ويوجه أيضاً إلى استظهار ختام سورة البقرة استجابة للأمر النبوي الشريف، فعن جُبَيـر بـن نُفَيـر بـن مـالـك الحَضْـرَمـي المخضـرم: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ اللَّـهَ ختم سورة البقرة بآيتين أعطـانيهمـا مـن كنزه الـذي تحـت العـرش، فتعلَّمـوهـن وعَلِّمـوهـنَّ نسـاءكـم وأبنـاءكـم، فـإنَّهمـا صـلاة وقـرآن ودعاء»(١).

---

(١) أخرجه أبو عبد الله الحاكم في مستدركه: كتاب فضائل القرآن، باب آيتان من آخر سورة البقرة لا تقرآن في دار فيقربها شيطان ثلاث ليال ١/ ٥٦٢ ــ ٥٦٣ موصولاً ــ من رواية جُبير عن أبـي ذر رضي الله عنه، عن النبـي ﷺ ــ ومرسلاً، وعلق على المتَّصل بقوله: «هذا حديث صحيح على شرط البخاري، ولم يخرجاه»، لكن لم يُسَلَّم له في جميعه، واللفظ المذكور أعلاه للحاكم. وأخرجه مرسلاً أيضاً أبو عبيد القاسم بن سَلَّام في كتابه فضائل القرآن: باب فضل سورة البقرة وخواتيمها وآية الكرسي ٢/ ٣٨ ــ ٣٩، حـديـث (٤٢٨). وقـد رواه أيضـاً أبـو محمـد الـدارمـي فـي مسنده (السنن): كتاب فضائل القرآن، باب فضل أوَّل سورة البقرة وآية الكرسي ٢/ ٩٠٧، حديث (٣٢٦٧) مرسلاً دون كلمة: (وأبناءكم).

ثُـمَّ يُعَلَّـم بعـض السـور الحـافظـة ـ وكـل القـرآن حـافـظ ـ كسـورة المُلْـك، فقـد رُوِي عـن ابـن عبَّـاس رضي الله عنهمـا أنَّـه «قال لرجـل: ألا أطـرفك بحـديث تفرح به؟ قال الرجل: بلى يا ابن عبَّاس... قال: اقرأ ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾، احفظها وعلِّمها أهلك وجميع ولدك وصبيان بيتك وجيرانك، فإنَّها المُنجية، وهي المجادِلة تجادل وتخاصم يوم القيامة عند ربِّها لقارئها وتطلب له إلى ربها أن ينجيه من النار إذا كانت في جوفه، وينجي الله بها صاحبها من عذاب القبر»[١].

وإذا مُكن الطفل من حفظ القرآن كله في مرحلة الطفولة حُفَّ بأنوار الله القدسية، وكان القرآن له حِرزاً وذُخْـراً وخيـراً عظيمـاً، قـال رسـول الله ﷺ ـ فيمـا رواه عثمان بن عفَّان رضي الله عنه ـ : «خيركم من تَعَلَّم القرآن وعَلَّمه»[٢]، وقال عبد الله بن عيسى ـ ولعلَّه ابن

(١) أخرجه عبد بن حميد في مسنده (المنتخب): مسند ابن عباس ٢٠٦ ـ ٢٠٧، حديث (٦٠٣). وفي سنده إبراهيم بن الحَكَم بن أبان العدني، وهو: «ضعيف، وَصَل مراسيل» كما في تقريب التهذيب ٨٩.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه ٤/ ١٩١٩، حديث (٤٧٣٩).

أبـي ليلى ـ : «لا تزال هذه الأُمَّة بخير ما تعلَّم ولدانها القرآن»[1].

ومـن تـأمَّـل سيـرة السلـف فـي تعليمهـم القـرآن لأولادهم رأى حرصاً عجيباً، واهتماماً شديداً، لما في ذلك من ترسيخ الاعتقاد، وصَقْل القلوب بالإيمان، قال العلاَّمة ابن خَلْدون: «اعلم أنَّ تعليم الوِلدان للقرآن: شعار الدِّين، أخذ به أهل الملَّة، ودَرَجوا عليه في جميع أمصارهم؛ لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث، وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعدُ من المَلَكـات، وسبـب ذلـك أنَّ التعليـم فـي الصِّغَـر أشـدّ رسوخاً، وهو أصل لما بعده»[2].

ولم يكونوا يوجِّهون أطفالهم وجهة الحفظ الرَّاتِب إلاَّ بعد أن يأنسوا منهم ميلاً إليه، خشية وقوعهم في الملـل، وركـونهـم إلـى الكسـل، قـال ابـن كثيـر: «وقـد استحبَّ بعض السلف أن يُترك الصبـي في ابتداء عمره

(١) أخرجه ابن أبـي الدنيا في كتاب العيال: باب تعليم الأصاغر القرآن ١/ ٤٨٠.

(٢) مقدمة تاريخ ابن خَلدون ١/ ٥٣٧ ـ ٥٣٨.

قليلاً للعب، ثم تُوَفّر همَّته على القراءة، لئلاَّ يُلزم أوَّلاً بالقراءة فيملّها ويعدل عنها إلى اللعب. وكره بعضهم تعليمه القرآن وهو لا يعقل ما يقال له، ولكن يُترك حتى إذا عقل وميَّز عُلِّم قليلاً بحسب همَّته ونَهْمته وحفظه وجودة ذهنه»[١].

ثالثاً: تدريب الطفل وترويضه على مقتضيات الفطرة الإيمانية الموسعة وصَقْلُه بها:

إذا أتمَّ الطفل سبع سنين من عمره دخل في سن التمييز، ومنهم من يُمَيِّز قبل ذلك[٢]. ولهذه المرحلة متطلّبات إيمانية تناسبها، ويتعيَّن على الأُسرة تسليك الطفل عليها.

ففي المرحلة السابقة أُسِّس الجَذْر الرئيس للقاعدة الإيمانية وهو الإيمان بالله تعالى، وذلك بأنَّه سبحانه هو الرب الخالق الرازق المنعم، وأنه الإلـه المعبود المتفرّد في ربوبيته وألوهيَّته. كما أُسِّس فيها الجانب الأعظم من ركن الإيمان بالكتب، وركن الإيمان بالرسل، وهما

(١) فضائل القرآن ١٥١.

(٢) تحفة المودود بأحكام المولود ٢٣١.

الإيمان بالقرآن الكريم والإيمان برسول الله ﷺ. وعُوِّد الطفل على محبَّة الله تعالى مصدر كل خير، ومحبَّة كتابه المجيد، ومحبَّة رسوله ﷺ. وحُبِّب إليه ترديد الشهادتين، والقيامُ بالصلاة التي تواظب أسرته عليها، والدُّعاءُ، والذكر.

وأمَّا الرعاية في هذه المرحلة الجديدة فتستدعي العمل في مجالين، هما: إكمال ما أُسِّس من أركان الإيمان والإسلام، والتوسُّع في القاعدة الإيمانية.

١ ــ إكمال ما أُسِّس من أركان الإيمان والإسلام: يُصار في هذه المرحلة إلى تعميق الإيمان وترسيخه في قلب الطفل.

فبعد أن كان يُنبَّه إلى ربوبية الله سبحانه من خلال الإحساس بالجزئيات كالطعام والشراب، والأُمّ والأَب، ونحو ذلك، صار يُرَقَّى من المحسوس إلى نوع من المعقول، ويُتدرج به من الجزئيات إلى ما يَجْمع بينها، فَيُجْمَلُ له على سبيل المثال معنى قول الله تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ

غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾[1].

وبعد أن كان يحبّ الله لما يغذوه به من نعمه المحسوسة، أضاف إليه حبّه له لأنَّه غذاه بنعمة الإيمان؛ فصار كتاب الله ربيع قلبه، ونور بصره، يواظب على تلاوته بتدبُّر وخشوع، ويستزيد من حفظه، وفهم معانيه، ويؤمن أيضاً بالكتب السماوية الأُخرى. وكان يعرف من أسماء الله تعالى وصفاته ما يتعلَّق بالخلق والرزق والرحمة ونحوها، فازدادت معرفته بربّه، وعَرَف من أسمائه ما يدلّ على القدرة والعزَّة والعظمة ونحو ذلك ممَّا يخشع له القلب كما في قوله تعالى: ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[2]، ومن خلال ما توحيه هذه الآية مما يناسب هذه المرحلة تنطلق وصية لقمان لابنه بتحذيره من الشرك وتعظيمه لقدرة الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[3]، ثم: ﴿يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ

(١) سورة عبس: الآيات ٢٤ ــ ٣٢.

(٢) سورة الحشر: من الآية ٢٣.

(٣) سورة لقمان: الآية ١٣.

﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾[1].

وكان الطفل في مرحلته السابقة يحبّ رسول الله ﷺ كثيراً، لكنه صار يحبّه أكثر من حبّه لأُمّه وأبيه؛ تحقيقاً لقول النبي ﷺ ـ فيما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه ـ : «لا يُؤمنُ أحدكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»[2]. وصار يحرص على تعلم سيرته العطرة، وسيرة آل بيته الأطهار وصحابته الأخيار رضوان الله عليهم أجمعين، الذين بحبّه ﷺ أحبَّهم، مع التوجُّه إلى حفظ ما يناسبه من حديثه ﷺ.

ويوجه الطفل في هذه المرحلة أيضاً إلى الإيمان بجميع رسل الله تعالى.

وكان يُحَرَّك من قبلُ للقيام بما يرغب به من

(١) سورة لقمان: الآية ١٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان ١/ ١٤، حديث (١٥). ومسلم في صحيحه أيضاً: كتاب الإيمان، باب وجوب محبّة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد.. إلخ ١/ ٦٧، حديث (٦٩)، (٧٠) ـ واللفظ للأخير ـ.

موجبات الفطرة، فصار في هذه المرحلة يؤمر بالالتزام؛ لأنَّ القلب خشع، ومن خشع قلبه صار أهلاً لحمل الأوامر، ومن هنا عقّب لقمان وصيَّته السابقة بهذه الوصية: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[1].

ولما كان نبيّنا ﷺ قد أُوتي الحكمة وجوامع الكَلِم؛ فإنه أجمل لنا عمل هذه المَنْقَلة من مَناقل الطفولة بحديثه العظيم الذي سَبَرَ فيه غَوْرها، ورسم به واجبها، فقال ــ فيما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ــ: «مُروا أولادكم بالصلاة وهم أبناءُ سبعِ سنين، واضربوهم عليها وهم أبناءُ عشر، وفَرِّقوا بينهم في المضاجع»[2].

وهذا يقتضي وجوب مراقبة الطفل في هذه السنّ لتذكيره الدائم بالصلاة، وترغيبه بأدائها، وتشجيعه عليها، وتحذيره من التهاون بها، قال أبو حامد الغزالي: «ومهما بلغ سنّ التمييز، فينبغي أن لا يسامح في ترك

---

(١) سورة لقمان: من الآية ١٧.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة ١/ ٣٨٥، حديث (٤٩٦). وله شاهد عنده أيضاً وعند غيره من أصحاب السنن.

الطهارة والصلاة، ويؤمر بالصوم في بعض أيام رمضان، ويُجنب لبس الديباج والحرير والذهب، ويُعلّم كل ما يحتاجُ إليه من حدود الشرع، ويخوف من السرقة وأكل الحرام، ومن الخيانة والكذب والفحش، وكل ما يغلب على الصبيان»[(١)].

وسن التمييز لا يتأخَّر عند عامة الأولاد عن سبع سنين، لذا جعلها النبي ﷺ حدًّا، وأما من دخل في هذه السن قبل ذلك فإنه يؤمر أيضاً بالصلاة ــ وإن كان ثَمَّة فرق بين الأمرين ــ، فعن هشام بن عُروة عن أبيه رحمهما الله تعالى: «أنه كان يأمر بَنيه بالصيام إذا أطاقوه، وبالصلاة إذا عَقَلوا»[(٢)].

وقد خصَّ النبي ﷺ في حديثه السابق الصلاة بالذكر لأنها شعارُ الدِّين، وأعظم مظاهر الإيمان، وعمودُ الإسلام، وألصق العبادات بالمسلم، وأدومها له، وهي معراجه المتجدد، ونُقَاوة عمله، فمن حفظها كان لغيرها أحفظ. وبهذا ندرك سرًّا من أسرار تأكيد

---

(١) إحياء علوم الدِّين ٣/ ٧٣ ــ ٧٤.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العيال: باب تعليم الصبيان الصلاة ١/ ٤٧٠.

الشارع عليها أكثر من غيرها، كما في قول الله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[1]. وإذا دَرَج الطفل عليها قَرَّت بقلبه، ولانت على جوارحه، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «حافظوا على أبنائكم في الصلاة، وعَوِّدوهم الخير، فإنَّ الخير عادة»[2].

وإنَّ أَمْر الطفل بالصلاة يستدعي التوسُّع في تعريفه بأحكامها وأحكام الطهارة أكثر من ذي قبل، كما يستدعي ترويضه على ارتياد المساجد للجمعة والجماعات.

ولا يفوتني التنبيه هنا إلى أنَّ من سنَّته ﷺ تعويد الطفل على الصيام أيضاً، فعن الرُّبَيِّع بنت مُعَوِّذ الأنصارية رضي الله عنهما أنَّها قالت: «أرسل النبي ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار: من أصبح مفطراً فَلْيُتِمَّ بقيَّة يومه، ومن أصبح صائماً فَلْيَصُم. قالت: فكُنَّا نصومُهُ بعدُ، ونُصَوِّمُ صبياننا، ونجعل لهم اللعبة من

---

(١) سورة طه: من الآية ١٣٢.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: مسند ابن مسعود ٩/ ٢٣٦، حديث (٩١٥٥) ــ واللفظ له ــ. والبيهقي في السنن الكبرى: كتاب الصلاة، باب ما على الآباء والأُمَّهات من تعليم الصبيان أمر الطهارة والصلاة ٣/ ٨٤.

العِهْنِ، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون عند الإِفطار»[1]. وقدَّم البخاري لهذا الحديث بقوله: «وقال عمر رضي الله عنه لِنَشْوَانَ ــ (أي لسكران) ــ في رمضان: وَيْلَكَ، وصبياننا صِيام! فضربه»[2].

بل إنَّ النبي ﷺ لم يَحْرم الطفولة الأُولى من روحانية هذه العبادة العظيمة ــ وإن لم تعقلها ــ، قال ابن حجر: «وأبلغ من ذلك ما جاء في حديث رزينة... أنَّ النبي ﷺ كان يأمر برضعائه في عاشوراء، ورضعاء فاطمة، فيتفل في أفواههم، ويأمر أمَّهاتهم أن لا يُرضعن إلى الليل. أخرجه ابن خزيمة[3] وتوقَّف في صحَّته،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الصوم، باب صوم الصبيان ٢/ ٦٩٢ ــ ٦٩٣، حديث (١٨٥٩) ــ واللفظ له ــ. ومسلم في صحيحه أيضاً: كتاب الصيام، باب من أكل في عاشوراء فليكف بقية يومه ٢/ ٧٩٨ ــ ٧٩٩، حديث (١٣٦)، (١٣٧).

(٢) عَلَّقه البخاري في صحيحه: كتاب الصوم، باب صوم الصبيان ٢/ ٦٩٢. وينظر تخريجه في فتح الباري ٤/ ٢٠١.

(٣) في صحيحه: كتاب الصيام، جماع أبواب صوم التطوُّع، باب استحباب ترك الأُمَّهات إرضاع الأطفال يوم عاشوراء تعظيماً ليوم عاشوراء ــ إن صحَّ الخبر ــ ٣/ ٢٨٨ ــ ٢٨٩، حديث (٢٠٨٩)، (٢٠٩٠).

وإسناده لا بأس به»[1].

وقد قاس بعض العلماء أمر الصبي بالصيام على حديث: «مروا أولادكم بالصلاة. . .»[2]. قال ابن حجر في شرحه لحديث الرُّبَيِّع وعمر رضي الله عنهما: «والجمهور على أنه لا يجب ـ (يعني صيام رمضان) ـ على مَن دون البلوغ، واستحبَّ جماعة من السلف ـ منهم ابن سيرين والزهري، وقال به الشافعي ـ: أنَّهم يؤمرون به للتمرين عليه إذا أطاقوه، وَحَدَّه أصحابه بالسبع والعشر كالصلاة، وحدَّه إسحاق باثنتي عشرة سنة، وأحمد في رواية بعشر سنين. . .»[3].

كما رغَّب النبي ﷺ في حمل الأطفال إلى الحج، فعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أَنَّه: «لقي رَكْباً بالرَّوحاء. . . فَرَفَعَتْ إليه امرأةٌ صبياً، فقالت: ألهذا حَجٌّ؟ قال: نعم، ولك أجر»[4]. وقال سفيان بن

---

(١) فتح الباري ٤/ ٢٠١. وقد تصرَّف ابن حجر في لفظ الحديث.

(٢) تقدَّم تخريجه ص ٥٨.

(٣) فتح الباري ٤/ ٢٠٠.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الحج، باب صحَّة حجّ الصبي وأجر من حجَّ به ٢/ ٩٧٤، حديث (٤٠٩)، (٤١٠)، (٤١١) ـ واللفظ للأول ـ.

عيينة: «قيل لمحمد بن المنكدر: أَنَحُجُّ بالصبيان؟ قال: نعم، اعْرِضْهُم على اللّـه عَزَّ وجَلّ»[1]، فيا له من جواب!! وإنَّه لمقتبس من مِشْكاة النبوَّة.

٢ ـ التوسُّع في القاعدة الإيمانية: ألمحت من قبل إلى أنَّ هذه المرحلة تتَّسم بالخشوع، واستظهار عظمة الله تعالى وقدرته، وأنه واحد لا ندَّ له ولا شريك، أرسل الرسل، وأنزل الكتب، وأمر الناس بعبادته، وحذَّرهم من مخالفة أمره. ولا يتمكَّن هذا الخشوع في قلب الطفل حتى تُضاف إليه غِراس جديدة من غِراس الإيمان، وهي الإيمان بالملائكة والإيمان باليوم الآخر.

(أ) رعاية الطفل بالإيمان بالملائكة: لا بدَّ أنَّه وقع ذكر الملائكة في سمع الطفل عند تلاوته للقرآن في المرحلة السابقة، ويُعَرَّفُ في هذه المرحلة بهم، فهم مخلوقات نورانية غيبية، لا يعلم عددهم إلاَّ الله، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[2]. وهم مفطورون على

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العيال: باب الحج بالصبيان ٢/ ٨٥١.

(٢) سورة المُدَّثِّر: من الآية ٣١.

طاعة الله تعالى وتسبيحه، ومقرَّبون منه سبحانه، ويعملون بأمره. وأفضلهم جبريل عليه السلام رسول الوحي إلى أنبياء الله تعالى، وهو الذي نَزَل بالقرآن على نبيّنا ﷺ.

فإذا علم الطفل بذلك ازداد خشوعه لله رب العالمين، وغمره حب هؤلاء الملائكة الكرام الذين يُسَبِّحون بحمد ربهم وهم بأمره يعملون، ووَدَّ أن يكون مثلهم.

(ب) رعاية الطفل بالإيمان باليوم الآخر: إنَّ هذه المرحلة التي يؤمر فيها الطفل بالتدرُّب على إقامة بعض الشعائر الإيمانية تتطلَّب ـ مع ما تقدَّم ـ وعداً ووعيداً، يمنعان من التقصير والإهمال.

وإذا غُرِس في قلب الطفل الإيمان باليوم الآخر، وما فيه من الجزاء العادل، والجنَّة والنَّار، اندفع إلى العمل الصالح بجدّ ونشاط، يَحْدوه الأمل بربّه إلى جنَّة الله الواسعة، ويحمله خوف الله تعالى على تجنُّب المخالفة والتقصير، مستشعراً ذلك كله في قوله سبحانه: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾(١)، وقوله أيضاً: ﴿ إِنَّهُۥ مَن

---

(١) سورة الزلزلة: الآيتان ٧ ـ ٨.

يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾[1].

رابعاً (وهو الأخير): تحقيق التزكية الإيمانية القائمة على الفطرة الموسعة ومقتضياتها:

لاحظنا في المرحلة السابقة أنَّ دخول الطفل في سن التمييز تطلب منه الخشوعَ إجلالاً لعظمة الله تعالى، والإذعانَ رهبةً من عذاب الله؛ لأنَّه في طور التربية الملكية. وقد كان في التي قبلها يأنس بالتربية الإنعامية، وهو في هذا المقام الأخير يسمو بهما معاً ليشهد نفحات التربية الإلٰهية.

ولعلِّي لا أجانب الصواب إن قرأت هذه الأطوار الثلاثة في قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾[2]، بل لعلِّي أجدها أيضاً في قوله ـ سبحانه ـ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ

---

(١) سورة طه: الآيات ٧٤ ــ ٧٦.

(٢) سورة الناس: الآيات ١ ــ ٣.

﴿تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾(1)، وذلك بالْتِمَاح الطور الأول في التنزيل الأحسن المتآلف المُحَرِّك، والْتِمَاع الثاني في القُشَعْرِيرَة، ويتمثَّل الأخير باللين والطمأنينة والهُدى.

ويمكن على ضوء ما تقدَّم تسمية هذا المقام الأخير بالتألُّه، وهو جامع بين الرغبة والرهبة، والرجاء والخوف، والقرب والعظمة، وفيه إكمال لما أُسِّس من أركان الإيمان والإسلام في المرحلة السابقة، وتوسعٌ في القاعدة الإيمانية، وزيادة سموّ. هذا، ولا شكَّ أنَّ تألُّه الطفل ليس كتألُّه الكبير، فلكلٍّ معياره.

ورعاية الطفل إيمانيًا في هذه المرحلة تؤسَّس على النحو التالي:

١ ــ الإيمان بالقَدَر ــ استكمالاً للقاعدة الإيمانية ــ : يُلقى في رُوع الطفل معنى القَدَر بالإجمال، وقد فسَّره ابن حجر بقوله: «والمراد أنَّ الله تعالى علم مقادير الأشياء وأزمانَها قبل إيجادها، ثم أوجد ما سبق في علمه أنه يوجد، فكلُّ مُحْدَث

---

(1) سورة الزُّمَر: الآية ٢٣.

صادرٌ عن علمه وقدرته وإرادته»[1]. ويؤمر بالإيمان به، وتُبين له آثاره المحمودة، وثماره الطيِّبة، فمن آمن به عظم حبّه لربّه، وطاعته له، وتوكُّله عليه، لأنَّه سبحانه هو المعطي المانع؛ واندفع بإيمانه إلى العمل، وزال عنه الهمّ والحزن.

وقد أرشد النبي ﷺ النَّاس إلى هذا الإيمان، كما أوصى به الغلمان، مقوِّياً بذلك شكيمتهم، ومحقِّقاً لهم الرتبة المنيفة التي يتطلَّعون إليها في هذه المرحلة، قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: «كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً، فقال: يا غلام، إنِّي أُعَلِّمك كلمات: احفظِ اللَّهَ يحفظْك، احفظِ اللَّهَ تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أنَّ الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلاَّ بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضرُّوك بشيء لم يضرُّوك إلاَّ بشيء قد كتبه الله عليك، رُفِعَت الأقلام، وجَفَّتِ الصُّحف»[2].

---

(١) فتح الباري ١/١١٨.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه: كتاب صفة القيامة، باب (٥٩)، ٤/٦٦٧، حديث (٢٥١٦). وقال عقبه: «هذا حديث حسن =

فهـذه معـالـم بيِّنـات، وكنـوز فـي كلمـات! .

ومـن أسـرارهـا فـي هـذه المـرحلـة أن يُحْكـم ربـط الطفـل بـربّـه خشيـة أن يقـع فـي خَلَـده أنَّ سعـده بيـد والـديـه أو غيـرهمـا. ويُعَلّـم فيهـا أيضـاً مـن أسمـاء الله تعـالـى مـا يقـوِّي هـذا الإيمـان: كـالقـابـض والبـاسـط، والخـافـض والـرَّافـع، والمُعِـزّ والمُـذِلّ، والمُقَـدِّم والمُؤَخِّر، والضَّارّ والنَّافع.

٢ ــ **مراقبة الله تعالى**: يُحَقِّق هذا الجانب العظيم في قلب الطفل ضمن هذه المرحلة بأمور، أهمّها:

(أ) **إشعـاره بـأسمـاء الله تعـالـى الـدالَّـة علـى المراقبة**: كالسَّميع، والبصير، والرَّقيب، والشَّهيد، والعليم، والخبير، واللَّطيف.

وقد زَخَر القرآن الكريم بتقوية هذا المعنى، من ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ

= صحيح». وله سياقة أخرى أخرجها أبو عبد الله الحاكم في المستـدرك: كتـاب معـرفـة الصحـابـة، بـاب تعليـم النبـي ﷺ ابن عباس رضي الله عنهما ٣/ ٥٤١ ــ ٥٤٢.

﴿وَلَا أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ﴾[1]، وقوله أيضاً: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا﴾[2]، وقوله أيضاً: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا﴾[3]، وقوله أيضاً: ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾[4].

(ب) توسيع نطاق إيمانه بالملائكة: وذلك من خلال تعريفه بأحوالهم التفصيلية، ووظائفهم المتنوعة، لا سيَّما من كان منهم موكَّلاً بحفظ أعمال الناس وكتابتها كما في قول الله تعالى: ﴿إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ۝١٧ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ﴾[5].

(جـ) توسيع نطاق إيمانه باليوم الآخر: وذلك باستعراض مقدِّماته ومنازله، بدءاً بالموت، ومروراً بالقبر وما يجري فيه، وذكراً لعلامات الساعة وقيامها، وانتقالاً إلى البعث وما يتبعه حتى يدخل أهل الجنَّةِ الجنَّة وأهل النَّارِ النَّار. ويُوقف الطفل هنا على حال الحساب،

---

(١) سورة يونس: الآية ٦١.

(٢) سورة الأحزاب: من الآية ٥٢.

(٣) سورة النساء: من الآية ٣٣.

(٤) سورة غافر: الآية ١٩.

(٥) سورة (ق): الآيتان ١٧ ــ ١٨.

إذ يدين الله النَّاس بأعمالهم، ويُظهر كلّ خفاياهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾[1].

وعندما يستشعر الطفل أنَّ الله سبحانه وتعالى يراقب حركاته وسكناته، وسرّه وجهره، وسائر أحواله، يُخلص العمل لله تعالى، ويتجنَّب كل ما يسخطه سبحانه.

ومقام المراقبة هو مقام الإحسان الذي قال فيه النبي ﷺ ـ لما سأله جبريل عنه ـ: «أن تعبد الله كأنَّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك»[2]. ويتضمَّن هذا المقام تقديم الله ورسوله ﷺ في كل شيء وعلى كل شيء؛ تحقيقاً لقول النبي ﷺ ـ فيما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه ـ: «ثلاث من كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحبّ إليه ممَّا سواهما...»[3].

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٤٧.

(٢) تقدَّم تخريجه ص ١١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان=

ومن بلغ تلك الدرجة كان في كَنَف الله تعالى وحفظه ومعيَّته، وفيه يقول النبي ﷺ: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك»[1].

وبهذه الفِقْرة والتي قبلها يسمو الطفل بقلبه وعقله، ويعرف أسراراً روحانية كان يجهلها؛ وهذا ما ينبغي أن يتحقَّق قبل الدخول في سنّ البلوغ، وإليه أشار أبو حامد الغزالي بقوله: «ومهما بلغ سنّ التمييز فينبغي أن لا يسامح في ترك الطهارة والصلاة... ويعلم كل ما يحتاج إليه من حدود الشرع، ويُخوف من السرقة وأكل الحرام... فإذا وقع نشوءُه كذلك في الصبا فمهما قارب البلوغ أمكن أن

= ١/ ١٤، حديث (١٦) ــ واللفظ له ــ. وفيه أيضاً، باب من كره أن يعود في الكفر.. إلخ ١/ ١٦، حديث (٢١). وكتاب الأدب، باب الحب في الله ٥/ ٢٢٤٦، حديث (٥٦٩٤). وكتاب الإكراه، باب من اختار الضرب والقتل والهَوَان على الكفر ٦/ ٢٥٤٦، حديث (٦٥٤٢) ــ وهو على اللفظ الأول أيضاً ــ. وأخرجه مسلم في صحيحه أيضاً: كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتَّصف بهن وجد حلاوة الإيمان ١/ ٦٦، حديث (٦٧)، (٦٨).

(١) تقدَّم تخريجه ص ٦٧.

يعرف أسرار هذه الأمور، فيذكر له أنَّ الأطعمة أدوية، وأنَّما المقصود منها أن يقوى الإنسان بها على طاعة الله عزَّ وجلّ، وأنَّ الدنيا كلها لا أصل لها إذ لا بقاء لها، وأنَّ الموت يقطع نعيمها، وأنَّها دار ممرّ لا دار مقرّ، وأنَّ الآخرة دار مقرّ لا دار ممرّ، وأنَّ الموت منتظر في كل ساعة، وأنَّ الكَيِّس العاقل مَن تزوَّد من الدنيا للآخرة حتى تعظم درجته عند الله تعالى، ويتَّسع نعيمه في الجنان. فإذا كان النشوء صالحاً كان هذا الكلام عند البلوغ واقعاً مؤثِّراً ناجعاً، يثبت في قلبه كما يثبت النقش في الحجر»[1].

وينبغي أن لا تمرّ هذه المرحلة الأخيرة من مراحل الطفولة دون أن تكتمل مبادىء عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة في ذهن الطفل، ولو حُفِّظ وريقات مختصرة فيها مما أُلِّف للأطفال لكان أجدى وأنفع. وقد لا يدرك الطفل بعض معاني ما يحفظه لا سيَّما إذا بدأ بالحفظ في سن مبكرة، وهذا لا يضرّ؛ لأنَّ الحفظ يكون قبل الفهم، والفهم قبل الاعتقاد. وممَّا ييسِّر الفهم ويقوِّي الاعتقاد قيام الطفل بتلاوة القرآن الكريم وقراءة الحديث النبوي

(١) إحياء علوم الدِّين ٣/ ٧٣ ـ ٧٤.

الشـريـف وأداء العبـادات وغيـر ذلـك ممَّـا ينمِّـي الفطـرة الإيمانية الراسخة في نفسه.

وفي ذلك كله يقول أبو حامد الغزالي: «اعلم أنَّ ما ذكرناه في ترجمة العقيدة ينبغي أن يقدَّم إلى الصبـي في أول نُشُوِّه ليحفظَه حفظاً، ثمَّ لا يزال ينكشف له معناه في كبَره شيئاً فشيئاً، فابتداؤه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد والإيقـان والتصديق بـه، وذلك ممَّـا يحصل في الصبـي بغير برهان.

فمن فضل الله سبحانه على قلب الإنسان أن شرحه في أول نُشُوِّه للإيمان من غير حاجة إلى حجة وبرهان، وكيف ينكر ذلك وجميع عقائد العوام مباديها التلقين المجرَّد والتقليد المحض؟ نعم يكون الاعتقاد الحاصل بمجـرَّد التقليـد، غيـر خـال عـن نـوع مـن الضعـف فـي الابتداء، على معنى أنَّه يقبل الإزالة بنقيضه لو أُلقي إليه، فلا بدَّ من تقويته وإثباته في نفس الطفل والعامي حتى يترسَّخ ولا يتزلزل.

وليس الطريق في تقويته وإثباته أن يعلم صنعة الجَـدَل والكـلام، بـل يشتغـل بتـلاوة القـرآن وتفسيـره، وقراءة الحديث ومعانيه، ويشتغل بوظائف العبادات، فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخاً بما يقْرَع سمعه من أدلة

القرآن وحُججه، وبما يرد عليه من شواهد الأحاديث وفوائدها، وبما يسطع عليه من أنوار العبادات ووظائفها، وبما يسري إليه من مشاهدة الصالحين ومجالستهم وسيماهُم وسماعِهم وهيئاتهم في الخضوع لله عزَّ وجلّ والخوف منه والاستكانة له، فيكون أوَّل التلقين كإلقاء بَذْر في الصدر، وتكون هذه الأسباب كالسقي والتربية له حتى ينموَ ذلك البَذْر ويقوى ويرتفع شجرة طيِّبة راسخة، أصلها ثابت وفرعها في السماء»[١].

٣ ـ إيقاع العقاب التأديبي في حال التقصير:

تدرَّج الشارع الحكيم في تربية الطفل وتأديبه وتزكيته على أُسس قويمة تحقِّق الغاية المطلوبة. لكن من لم ينفعه التأليف والترغيب والترهيب والإقناع، مع انعدام الموانع، وجب على أسرته أن تؤدِّبه بالضرب ـ لأنَّ آخر الدواء الكَيّ ـ، استجابة لتوجيه النبي ﷺ: «مُروا أولادكم بالصلاة وهم أبناءُ سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناءُ عشر»[٢].

---

(١) إحياء علوم الدِّين ١/ ٩٤.

(٢) تقدَّم تخريجه ص ٥٨.

ولابن القَيِّم توضيح لهذه المسألة إذ قال: «فإذا صار ابن عشر ازداد قوَّة وعقلاً واحتمالاً للعبادات، فيضرب على ترك الصلاة كما أمر به النبي ﷺ، وهذا ضرب تأديب وتمرين. وعند بلوغ العشر يتجدَّد له حال أخرى يقوى فيها تمييزه ومعرفته، ولذلك ذهب كثير من الفقهاء إلى وجوب الإيمان عليه في هذه الحال، وأنه يعاقب على تركه... وهو قول قوي جدًّا، وإن رُفِع عنه قلم التكليف بالفروع، فإنَّه قد أُعطي آلة معرفة الصانع والإقرار بتوحيده وصدق رسله...»[1].

ولا يجوز تجاوز الحد في الضرب المأمور به؛ لأنَّه للتأديب والتمرين كما تقدَّم، وقد قال أبو الحسن القابِسي: «إنما السبيل في أدب من يريد صلاحه أن يؤدِّبه في غير عَطَب ولا حَمِيَّة، إذ هو ليس على باب العداوة»[2].

❑ ❑ ❑

(١) تحفة المودود بأحكام المولود ٢٣٤.

(٢) الرسالة المفصَّلة لأحوال المتعلِّمين وأحكام المعلِّمين والمتعلِّمين ١٧٥.

تنويه بالعاقبة

إنَّ الطفل الذي أفلحت فيه تلك الرعاية في جميع مراحله، يكون أهلاً لتحقيق الغاية التي خلق الله الناس من أجلها: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1].

وبعد اكتمال السُّلَّم الطفولي يقف ذاك الغلامُ على أعتاب الرجولة، مُوَدِّعاً مرحلة الطفولة، ولسان حاله يقول:

وإذا رأيتَ مِنَ الهِلالِ نُمُوَّهُ
أَيْقَنتَ أن سيصيرُ بدراً كاملاً

وعندها يصبح مختاراً بعد أن كان مُخَيَّراً، ورافعاً نِبراس التوفيق والهداية الذي في قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ...﴾[2]. كما يصير مكلفاً وراعياً، ومسؤولاً

---

(١) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

(٢) سورة الأنعام: الآيتان ١٦٢ ـ ١٦٣.

وداعياً، وحاملاً للأمانة العظيمة التي قال الله فيها: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ... ﴾[1].

وهنيئاً للأُسرة المؤمنة الربَّانية التي صبرت على تشييد هذا الصرح العظيم امتثالاً واحتساباً، ولْتَسْعَد بتلك الدعوة المباركة التي أرشد القرآن الأبناء إليها: ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾[2]. ولتسعد أيضاً بوعد الله الحق في قوله الحقّ: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾[3].

تمَّ البحث بعون الله تعالى

والحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

---

(١) سورة الأحزاب: من الآية ٧٢.

(٢) سورة الإسراء: من الآية ٢٤.

(٣) سورة الرعد: الآيتان ٢٣ ــ ٢٤.

فهرس المصادر والمراجع

١ ــ **إحياء علوم الدِّين**: لأبي حامد الغزالي، دار المعرفة ببيروت.

٢ ــ **الأذكار**: للنووي، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، دار الملاح بدمشق، ١٣٩١هـ.

٣ ــ **تاج العروس من جواهر القاموس**: للزَّبيدي، دار مكتبة الحياة ببيروت.

* وكذلك طبعة وزارة الإعلام بالكويت، (جـ ١٠)، تحقيق إبراهيم الترزي.

٤ ــ **تحفة المودود بأحكام المولود**: لابن قَيِّم الجوزية، بعناية بسام الجابي، دار البشائر الإسلامية ببيروت، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ.

٥ ــ **تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)**: دار الفكر ببيروت، ١٤٠٨هـ.

٦ ــ **تقريب التهذيب**: لابن حجر، تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد بحلب، الطبعة الرابعة ١٤١٢هـ.

٧ ـ **تنبيه النَّائم الغَمْر على مواسم العُمُر**: لابن الجوزي، تحقيق عرفة عبَّاس، دار الحديث بالقاهرة.

٨ ـ **تهذيب اللغة**: لأبـي منصور الأزهري، (جـ ١٣)، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

٩ ـ **الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير**: للسيوطي، دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

١٠ ـ **الجامع الكبير (جمع الجوامع)**: للسيوطي، مصوَّر عن مخطوطة دار الكتب المصرية، الهيئة المصرية العامَّة للكتاب.

١١ ـ **الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ﷺ ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل**: للترمذي، تحقيق أحمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، ضمن موسوعة السُّنَّة، دار الدعوة بإستنبول ودار سحنون بتونس، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.

١٢ ـ **حجَّة الله البالغة**: لوليّ الله بن عبد الرحيم الدهلوي، دار التراث بالقاهرة، ١٣٥٥هـ.

١٣ ـ **الحِكَم**: لابن عطاء الله السَّكَندري، تحقيق أحمد عز الدِّين خلف الله، المكتبة الأزهرية بالقاهرة.

١٤ ـ **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**: لأبـي نعيم الأصبهاني، دار الكتاب العربـي ببيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.

١٥ ـ **الرسالة المفصِّلة لأحوال المتعلِّمين وأحكام المعلِّمين والمتعلِّمين**: لأبـي الحسن القابِسي، تحقيق أحمد

خالد، الشركة التونسية للتوزيع بتونس، الطبعة الأولى ١٩٨٦م.

١٦ ـ **سبل السَّلام شرح بلوغ المرام من أدلَّة الأحكام**: للصنعاني، (جـ٤)، تحقيق محمد أبو الفتح البيانوني وخليل إبراهيم مُلاًّ خاطر، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ.

١٧ ـ **السنن الكبرى**: للبيهقي، دار المعرفة ببيروت، ١٤١٣هـ.

١٨ ـ **السنن**: لأبي داود، تحقيق محمد عوَّامة، دار القبلة بجُدَّة ومؤسسة الريان ببيروت والمكتبة المكية، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

١٩ ـ **السنن**: لابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ببيروت، ١٣٩٥هـ.

٢٠ ـ **سياسة الصبيان وتدبيرهم**: لابن الجزَّار القيرواني، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي ببيروت، الطبعة الثانية.

٢١ ـ **شعب الإيمان**: للبيهقي، تحقيق محمد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٢٢ ـ **الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)**: للجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطّار، مطابع دار الكتاب العربي بمصر.

٢٣ ـ **صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيّامه)**: بعناية مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير ودار اليمامة بدمشق، الطبعة الخامسة ١٤١٤هـ.

٢٤ ـ **صحيح ابن خزيمة (المسند الصحيح المتَّصل بنقل العدل عن العدل من غير قطع في السند ولا جرح في النقلة)**: تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي ببيروت، ١٤٠٠هـ.

٢٥ ـ **صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ)**: بعناية محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية ببيروت، ١٤١٣هـ.

٢٦ ـ **علم أصول الفقه**: لعبد الوهاب خلاف، دار القلم بالكويت، الطبعة الثامنة ١٤٠٨هـ.

٢٧ ـ **علوم الحديث**: لابن الصلاح، تحقيق نور الدِّين عتر، دار الفكر بدمشق، ١٤٠٦هـ.

٢٨ ـ **عمل اليوم والليلة**: لابن السني، تحقيق عبد الرحمن كوثر البرني، مكتبة الشيخ بكراتشي، ١٤١٢هـ.

٢٩ ـ **العيال لابن أبي الدنيا**: تحقيق نجم عبد الرحمن خلف، دار ابن القيم بالدَّمَّام، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٣٠ ـ **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**: لابن حجر، بعناية عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحمَّد فؤاد عبد الباقي ومحبّ الدِّين الخطيب، مكتبة دار الفيحاء بدمشق.

٣١ ـ **فضائل القرآن**: لأبـي عبيد القاسم بن سَلاَّم، تحقيق أحمد بن عبد الواحد الخيَّاطي، نشرة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، ١٤١٥هـ.

٣٢ ـ **فضائل القرآن**: لابن كثير، تحقيق سعيد عبد المجيد محمود، دار الحديث بالقاهرة.

٣٣ ـ **فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير**: لمحمد عبد الرءوف المناوي، دار الفكر ببيروت.

٣٤ ـ **كشف القناع المُرنى عن مهمات الأسامي والكنى**: لبدر الدِّين العيني، تحقيق أحمد محمد نمر الخطيب، مركز النشر العلمي بجامعة الملك عبد العزيز بجُدَّة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٣٥ ـ **اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة**: للسيوطي، دار المعرفة ببيروت.

٣٦ ـ **لسان العرب**: لابن منظور، تحقيق عبد الله الكبير ومحمد حسب الله وهاشم الشاذلي، دار المعارف بمصر (طبعة مرتَّبة على الطريقة الحديثة للمعاجم).

٣٧ ـ **المستدرك على الصحيحين**: لأبـي عبد الله الحاكم، دار الفكر ببيروت، ١٣٩٨هـ.

٣٨ ـ **المسند**: لأحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي ودار صادر ببيروت.

٣٩ ـ **المسند**: لأبـي داود الطيالسي، جمعه له بعض الحفَّاظ الخراسانيين ممَّا رواه يونس بن حبيب خاصة عنه، دار المعرفة ببيروت.

٤٠ ـ المسند (السنن): لأبـي محمد الدارمي، تحقيق مصطفى ديب البغا، دار القلم بدمشق، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ.

٤١ ـ المسند (المنتخب): لعبد بن حُميد، تحقيق صبحي السامرائي ومحمود الصعيدي، عالم الكتب ببيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٤٢ ـ المصنَّف: لعبد الرزاق الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي ببيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

٤٣ ـ المعجم الكبير: للطبراني، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربـي ببيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

٤٤ ـ المعجم الوسيط: للجنة من مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة بإستنبول، ١٤٠٦هـ.

٤٥ ـ مقدمة تاريخ ابن خَلدون (المسمَّى بكتاب العِبَر، وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر: دار إحياء التراث العربـي ببيروت.

٤٦ ـ الموطأ: للإمام مالك بن أنس، بعناية محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربـي ببيروت، ١٤٠٦هـ.

❑ ❑ ❑

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الافتتاحية	٥ ــ ٦
المقدمة	٧ ــ ١٢
الدور التحضيري: تكوين الأُسرة المؤمنة وإعدادها لظهور الطفل المؤمن	١٣ ــ ١٧
توطئة	١٣ ــ ١٤
(أ) تكوين الأُسرة المؤمنة	١٤ ــ ١٥
(ب) إعداد الأُسرة المؤمنة لظهور الطفل المؤمن	١٦ ــ ١٧
الدور المباشر: ميدان الأُسرة في رعاية الطفل إيمانياً	١٨ ــ ٧٥
تمهيد	١٨ ــ ٢٧
(أ) مسؤولية الأُسرة	١٨ ــ ٢٢
(ب) القلب مَغْرِس الإيمان	٢٢ ــ ٢٤
(جـ) الفطرة الإيمانية	٢٤ ــ ٢٦
(د) مراحل الطفولة	٢٦ ــ ٢٧

الموضوع	الصفحة
أسس الرعاية الأُسرية للطفل إيمانياً	٢٧ ــ ٧٥
أولاً : إيقاظُ فطرة الوليد الإيمانية وتحصينُها .	٢٨ ــ ٤١
١ ــ التأذين في أُذن الوليد اليمنى والإقامة في اليسرى	٣٠ ــ ٣٢
٢ ــ الدعاء له بالخير والصلاح	٣٢ ــ ٣٦
٣ ــ النَّسْك عنه	٣٦ ــ ٣٧
٤ ــ التصدق بزِنة شعره فضة أو ذهباً .	٣٧
٥ ــ الفَتْح عليه بكلمة التوحيد	٣٧ ــ ٣٩
٦ ــ تغذيته بالحلال وإبعاده عن المحرمات كلها	٣٩ ــ ٤١
ثانياً : الربطُ المباشر للوليد بالفطرة الإيمانية مع توسيع نطاقها وتحريك الوليد بها	٤١ ــ ٥٤
١ ــ تصوير آثار الفطرة الإيمانية في سلوك الأُسرة	٤٢ ــ ٤٣
٢ ــ تقديم الفطرة الإيمانية في قالب ذهني مناسب بواسطة الحس	٤٣ ــ ٤٤
٣ ــ تحريك الطفل للقيام بما يستطيعه ويرغب به من موجبات الفطرة الإيمانية .	٤٤ ــ ٥٤
(أ) اللَّهَجُ بالشهادتين مع تصورهما في ذهنه وقلبه	٤٨ ــ ٥٠

الموضوع	الصفحة
(ب) حفظ ما تيسر من القرآن الكريم	٥٠ ــ ٥٤
ثالثاً: تدريب الطفل وترويضه على مقتضيات الفطرة الإيمانية الموسعة وصَقْله بها ..	٥٤ ــ ٦٥
١ ــ إكمال ما أسس من أركان الإيمان والإسلام	٥٥ ــ ٦٣
٢ ــ التوسع في القاعدة الإيمانية ...	٦٣ ــ ٦٥
(أ) رعاية الطفل بالإيمان بالملائكة	٦٣ ــ ٦٤
(ب) رعاية الطفل بالإيمان باليوم الآخر	٦٤ ــ ٦٥
رابعاً (وهو الأخير): تحقيق التزكية الإيمانية القائمة على الفطرة الموسعة ومقتضياتها	٦٥ ــ ٧٥
١ ــ الإيمان بالقَدَر	٦٦ ــ ٦٨
٢ ــ مراقبة الله تعالى	٦٨ ــ ٧١
(أ) إشعار الطفل بأسماء الله تعالى الدالة على المراقبة	٦٨ ــ ٦٩
(ب) توسيع نطاق إيمانه بالملائكة	٦٩

الموضوع	الصفحة

(جـ) توسيع نطاق إيمانه باليوم الآخر .... ٦٩ ـ ٧٤

٣ ـ إيقاع العقاب التأديبي في حال التقصير .... ٧٤ ـ ٧٥

تنويه بالعاقبة .... ٧٦ ـ ٧٧

فهرس المصادر والمراجع .... ٧٩ ـ ٨٤

• • •

ومَضات عن هذه الرسالة

الطفولة في الإسلام لها مجال رَحْب، لا يقلّ شأنه عن سائر مجالات الإنسان، بل قد يتسامى عليها، لأنها مرحلة تأسيس، ولأنَّ الإصلاح فيها أسهل وأنفع وأبقى.

ولما كان الطفل لا يمكنه القيامُ برعاية نفسه، نِيطت مسؤولية رعايته بأسرته حتى يَرْشد.

والأُسر لا تدَّخر وُسْعاً في تربية أولادها صحيّاً ونفسيّاً واجتماعيّاً وعقليّاً، لكن الكثير منها غفل عن ركن التربية الأهمّ، وهو التربية الإيمانية.

وتربية الوليد على اختلاف مساراتها مبنية على مِهاد سابق وهو تكوين الأُسرة الصالحة، وإعدادُها لظهور الطفل الصالح، وهذا هو الدور التحضيري الذي قدمته بإيجاز لأصل إلى الدور المباشر، وعمادُه: أسس الرعاية الأُسرية للطفل إيمانيّاً؛ وقد أقمت هذه الأُسس على قاعدة الفطرة الإيمانية الراسخة التي جَبَل اللّٰه الناس عليها.

المؤلف